رأيت أنّه لا بدّ لي في بداية هذا الفصل أن أتحدّث بإيجاز عن تاريخ النحو العربي، وعن نشأة المدارس النحويّة و بخاصة مدرستي: البصرة و الكوفة، ثمّ بغداد؛ وذلك لما لهذه المدارس من تأثير كبير في نشأة النحو الأندلسي.

1 – النحو النشأة و التطوّر:

1 –1– سبب وضع النحو:

ذهب المصنفون الأوائل إلى أنّ ظهور النحو كان بسبب شيوع اللّحن في العربية حين اتسعت دائرة المجتمعات العربية القديمة لِمَا كان من الفتوح الإسلامية التي نشرت هذه اللغة في المجتمعات الإسلامية التي اعتنقت الإسلام فأقبلت على العربية تتعلمها[1].

يقول **أبو الطيب اللغوي** (ت 351 هـ): "واعلم أن أول ما اختلَّ من كلام العرب فأحوج إلى التعليم الإعرابُ؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرِّبين من عصر النبي ε "[2].

ولكن هذه المصنفات نفسها تذكر بأن اللحن لم يكن مقصورا على هؤلاء الأعاجم الحديثي العهد بالإسلام بل تجاوز ذلك إلى العرب أنفسهم، فها هو ذا **الحجاج بن يوسف الثقفي**(ت95هـ) وهو من أهل الفصاحة والبلاغة ورغم ذلك لم يسلم لسانه من اللحن[3].فكيف يكون حال جمهرة من الرجال ممن اشتهروا بالعلم ممن يرجعون إلى أصول غير عربية كـ **الحسن البصري**(ت21هـ) مثلا، وطائفة أخرى من هؤلاء لم تنجوا من غائلة اللحن .[4]

كما أن ألسنة العرب الذين سكنوا المدينة لم تسلم هي الأخرى من آفة اللحن والذي ازداد انتشارا على ألسنة أبنائهم الذين نشأوا بعيدا عن البادية فحُرموا من الاستفادة من ينابيعها الفصيحة؛ لأنهم ترعرعوا في الحاضرة حيث اختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم[5]. مثلما

---

[1] – إبراهيم السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع"،دار الفكر للنشر والتوزيع،ط1 1987م ص: 09.

[2] – عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1423هـ/ 2002 مـ، ص17.

[3] –ينظر: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، البيان والتبيين.وضع حواشيه،موفق شهاب الدين دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ط،1424/2003هـ ،143/1.

[4] – ينظر: الجاحظ ، "البيان والتبيين"، 143/1.

[5] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط2، 1972، ص: 12.

عرف عن **الوليد بن عبد الملك**(ت48هـ) الذي كثر جريان اللحن على لسانه[1]. يقول **عبد الرحمن بن خلدون** (ت 808 هـ) : "فلما جاء الإسلام وفارقوا الحِجاز لطلب الـمُلك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمعُ من المخالفات التي للمستعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسُدَت بما أُلْقِيَ إليها مما يُغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغيّر الدّلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات"[2].

كما أن اللحن كان منتشرا بصورة مريعة في أوساط أبناء العرب الذين وُلدوا من أمهات أعجميات فتأثروا بنطقهن[3].

وكل هذه الأسباب مجتمعة دفعت إلى ضرورة وضع رسوم يُعرف بها الصواب من الخطأ خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم[4].

ومما سبق ذكره نلاحظ أن الباحثين الأوائل قد صبُّوا جل لومهم على الأعاجم الحديثي العهد بالإسلام حيث ألقوا على عاتقهم سبب فساد ملكة اللغة العربية، غير أن هذا لا يمنعنا من أن نكون منصفين ولو قليلا في حق هؤلاء الأعاجم، لذلك يجب أن نقول قولة حق ونعترف بأنه حتى ولو كان البعض من هؤلاء قد كان سببا في هدم ملكة هذه اللغة .فإن آخرين منهم استطاعوا أن يكونوا نِعْم الحافظين والمدافعين عنها فدرسوها وبحثوا في أصولها وقعَّدوا لها؛ حيث عملوا جاهدين غير آبهين بعناء السفر والتنقل بين البوادي و لم تشغلهم العصبية ولا الحقد عن أهدافهم النبيلة.

ومن هؤلاء الأعاجم الذين قدَّموا الكثير للغة القرآن الكريم نجد صاحب الكـــــتاب **سيبويه** (ت180هـ) و**الفارسي** (ت 395 هـــ) من بعده و**الزجاج** (ت337هـ) من بعدهما وكلهم عجم في

---

[1] – "البيان والتبيين"، 1/ 135_136 .

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة: المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424 هـ، 2002مـ، ص: 621.

[3] –الجاحظ" البيان والتبيين"، 138/1

[4] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 12.

أنسابهم، لكنهم نشأوا وسط العرب فتعلموا لغتهم وصيَّروا لها قواعد وجعلوها فنا يستفيد منه مَن بعدهم، وكذا حملة الحديث الذين حفظوا على أهل الإسلام، أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى لاتساع الفن بالعراق وأيضا علماء في أصول الفقه كلهم عجم وأيضا علماء الكلام وكذا أكثر المفسرين[1].

ومصداقا لقول نبيِّنا الكريم ε **"لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من أهل فارس"**. فإنه يظهر جليا بأن تدوين العلم وحفظه لم يكن إلا على أيدي الأعاجم [2]. ولخطورة اللحن وأثره السلبي على لغة القرآن الكريم، وبالتالي على الدين استنكره العرب وذمّوه بالإضافة إلى ذمّ اللاَّحنين [3]. فقد رُوي أن عبد الملك بن مروان قال في ذم اللحن: "اللحن هُجنة على الشريف" [4]، وقيل أيضا أقبحُ من الشّرك[5].

إذا، فقد اُعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر؛ لذلك هبّ أولوا الغيرة على العربية و الإسلام إلى محاربته ؛ بوضع النحو و استنباط قواعده . [6] و لا بأس أن نقوم بعرض تاريخي سريع مختصر لبعض أحداث اللحن المتتابعة.

1 – 2 : بوادر اللحن:

لعلّ أقدم هذه الروايات المتعلقة بظهور اللحن بمعناه المعروف لدينا؛ وهو الزلل في اللغة حدث حوالي اثنين ومائة للهجرة وما قبلها، إلاَّ أن ثمة رواية رواها غير واحد من القدماء ترجع إلى عهده ε

---

[1] – يُنظر: ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 617.

2 – ابن خلدون، "المرجع نفسه "، ص:617 .

[3] – جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، دار الحضارة ، عز الدين للطباعة و النشر ، 1418هـ /1997 ، ص: 19.

[4] – الجاحظ، "البيان و التبيين" ، 142/1، وابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ،"العقد الفريد"،شرح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، 1983 ،2/ 479 .

[5] – جميل الشامي، "النحو العربي"، ص: 19.

6 – يُنظر: سعيد الأفغاني ، "من تاريخ النحو "، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ، ص : 8 ، و يُنظر : عبد الجليل مرتاض ، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب" ، مؤسسة الأشراف ، بيروت ـــ لبنان ، 1988 ، ص : 56 .

عندما سمع رجُلا يلحن في كلامه بحضرته [1]. فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **أرشدوا أخاكم فقد ضلّ** »[2]، ويظهر أن اللحن كان معروفا بهذا الاسم نفسه، وأكبر دليل على ذلك ما نجده عند أبي الطيب اللغوي عندما روى لنا أن الرسول ε قال: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنّى لي اللحن"[3]، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "**لأن أقرأ فأسقط أحبّ إلي من أن أقرأ فألحن**"[4].

أما في عهد الخليفة **عمر بن الخطاب**(ت23هـ) رضي الله عنه فتتّفق المصادر على أنّ اللحن قد كثرت ملاحظته مقارنة بعهدي الرسول ε وأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأن الدولة في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت قد اتسعت رقعتها خارج بلاد العرب[5]، فكثُر اختلاط الأجناس بين العرب والعجم؛ لأجل هذا نجد في كتب الطبقات أقوالا كثيرة تُنْسَب لعمر بن الخطاب في الحضّ على تعلم آداب العرب من شعر وخبر وعلم ونسب[6]. ومما يلفت الانتباه في هذه الفترة كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: "أما بعد؛ فتفقهوا في الدين، وتعلموا السنة، وتفهموا العربية، وتعلموا طعن الدرية، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وليعلّم أبُو الأَسْوَد أهل البصرة الإعراب"[7].

ومن بين حوادث اللحن التي وقعت في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ماُ روي من أنّ الخليفة عمر رضي الله عنه مرَّ على قوم يسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا: "إنّا قومٌ متعلّمين" فأعرض مغضبا

---

[1] – عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 68.

2 –ابن جني" الخصائص "، 1/ 313 ، و القرطبي ، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت 461 هـ) ، الموضح في التجويد ، ضبط : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 2006 ، ص : 13. ذكر الألباني أنّه حديث ضعيف ؛ لأنّه روي عن سعد بن عبد الله بن سعد عن أبيه ، و والد سعد وهو الأيلي غير معروف ، و لم يترجموا له ، و لم يذكروا له رواية عن أبيه ، ينظر : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة ، دار المعارف ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1992 ، 315/2 .

[3] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 19.

[4] – أبو الطيب اللغوي، "المصدر نفسه"، ص: 19.

[5] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 69.

[6] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "المرجع نفسه "، ص: 71.

[7] – القفطي ، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 624 هـ)، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2004مـ،51/1.

وقال: " **والله خطؤكم في لسانكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم** "[1] ، ولما كتب كاتب[2] **لأبي موسى الأشعري**(ت33هـ) كتابا إلى عمر وفتحه بقوله: "من أبو موسى الأشعري" فكتب عمر لأبي موسى: "سلام عليك، أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا وأخّر عطاءه سنة"[3].

و لم يقتصر اللحن على أحاديث الناس ومُكاتباتهم بل تسرب إلى القرآن الكريم [4] أيضا؛ حيث تروي أمهات الكتب أنّ أحد الأعراب قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال "من يقرئني شيئا مما أنزل الله على محمد ؟ فأقرأه رجل من سورة براءة: ﴿ ﴾ [5] (بكسر اللام) عطفا على المشركين، فقال الأعرابي: أن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فصحح له الآية وأمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر **أبا الأسود**(ت68هـ) أن يضع النحو.[6]

وأما في عهد **علي بن أبي طالب**(ت40هـ) رضي الله عنه فإن الأمر أضحى مختلفا تمام الاختلاف عن العهود السابقة الأربعة؛ لأن الدرس اللغوي أخذ ينمو وأخذت الفكرة ترنو إليه لإنمائه وخلقه، وفي هذه الفترة أيضا روايات مضطربة، ولكن جوهرها يفيد بتردد العرب في الإقدام على وضع النحو لغير العرب، ولأن الحاجة أصبحت تشتد إليه أكثر مما مضى، وأبرز ما ذُكِر أنّ الإمام علي هو أحد الأبطال الذين دارت ولا تزال تدور حولها الملحمة النحوية والبادرة الأولى في وضع أوائل علم النحو. ولعلّ أفظع لحن حدث في هذه الفترة لحن بنت أبي الأسود الدُّؤَلِيّ وهي تخاطب أباها[7] قائلة: "يا "يا أبت ما أشدُّ الحرّ! في يوم شديد الحرّ، فقال لها: إذا كانت الصقعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك،

---

[1] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 9.

[2] – هو أبو الحسين بن أبي الحر الحنبري كما في وفيات الأعيان 5/ 99وكان أبو موسى قد استكتبه بعد زياد.

[3] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 19.

4 – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 72.

5 ــ جزء من الآية : 03 من سورة التوبة .

6 – ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط2 ، دت ، ص: 19-20 وتُروى هذه الحادثة كذلك مع عمر و تكرّرت مرات مع أبي الأسود وزياد ، و غيرهم ،ابن جني ، الخصائص ، ص : 8/2 ، وابن النديم ،محمد ابن اسحق ، الفهرست ، تحقيق ز تقديم : مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، ه1405/ 1985، ص: 190.

7– عبد الجليل مرتاض ،" بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب "، ص 75

فقالت: إنما أردت أن الحرّ شديد. فقال: فقولي إذن ما أشدَّ الحرّ! وقيل إنه دخل إلى مترله فقالت له بعض بناته: ما أحسنُ السماء! قال: أي بنيّة، نجومها، فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجّبت من حسنها فقال: إذا فقولي: ما أحسن السماء! فحينئذ وضع كتابا[1].

ثم شاع اللحن في العصر الأموي حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجاج، والناس يومئذ تتعاير به، وكان مما يقلّل من شأن الرجل في المجتمع أن يلحن حتى قال عبد الملك وقد قيل له: " أسرع إليك الشيبُ": فقال: "شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن"[2].

والحجاج على أنه من الفصحاء والبلغاء، كان في طبعه تقزز من اللحن أن يقع منه أو من غيره، فإذا وقع منه حرص على ستره وإبعاد من اطّلع عليه عنه، فعن يونس بن حبيب (ت182 هـ) أن الحجاج سأل يحيى بن يعمر الليثي (ت 129 هـ): " أتسمعني ألحنُ على المنبر؟ قال: الأمير أفصح. فألحّ عليه فقال: حرفا، قال أيًّا؟ قال: في القرآن. قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول **[إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ]** [3] إلى قوله عز وجل [أحبَّ] فتقرؤها أحبُّ بالرفع، والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان، قال: لا جرم ألا تسمع لي لحنا أبدا، فألحقه بخراسان[4].

1 –3 أوّل من وضع النحو العربي:

تعددت الروايات واختلفت في قضية المؤسس الأول للنحو العربي وواضعه بين القدامى أنفسهم، وتباينت وتضاربت أيضا بين الباحثين والدارسين المحدثين [5]، يقول **عبد الجليل مرتاض** :إن أخوف وأرهب باب يمكن أن يطرقه باحث في اللغة العربية هو هذا الباب – يعني باب وضع النحو – لما في هذا الموضوع من تشعب واضطراب فكلما تعمّق الباحث فيه زاد غموضا وظلاما لا وضوحا وضياء[6].

---

[1] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 51.

[2] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، دار المسيرة ، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ، 2007م، ص: 19.

[3] – الآية 24 من سورة التوبة .

[4] – الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت 379 هـ)، "طبقات النحويين واللغويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص: 28.

[5] – أحمد جميل الشامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره ، ص: 50.

[6] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 103.

فالناس قد اختلفوا كثيرا في أول من وضع النحو، فذهب بعضهم إلى أنه أَبُو الأَسْوَد الدُّؤَلِيّ[1]، وآخرون إلى أنه **نصر بن عاصم**(ت89هـ)[2] وآخرون قالوا **عبد الرحمن بن هرمز**(ت117هـ)[3]، وأكثر الناس أجمعوا على أنه أبو الأسْوَد الدُّؤَلِيّ. وتضطرب الروايات أيضا حول أبي الأسْوَد نفسه، فمنها ما يجعل وضع النحو من عمله وحده ومنها ما يذكر أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو الذي طلب منه وضع النحو.

ونقل الزبيدي في طبقاته روايات تثبت بأن أبا الأسود هو الذي وضع النحو حيث نجده يقول: " وهو أول من أسس العربية ونهج سُبُلها، ووضع قياسها وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سُراة الناس، ووجوههم يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف، وحروف النصب والرفع والجر والجزم"[4].

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: سُئل أَبُو الأَسْوَد الدُّؤَلِيّ عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله. وفي حديث آخر قال: ألقى إلي علي أصولا احتذيت عليها[5]. وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ ــ يعنون النحوــ فقال: لقِنت حدوده من علي بن أبي طالب. وكان أَبُو الأَسْوَد من القراء، فقرأ على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[6].

وقد اختلفت الروايات في سبب وضع النحو، فمن ذلك ما رواه بن عبيدة أن أبا الأسود أخذ النحو عن علي بن أبي طالب، وكان لا يُخرج شيئا مما أخذه عن علي كرّم الله وجهه إلى أحد حتى بعث إليه زياد أن اعمل شيئا يكون للناس إماما، ويُعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أَبُو الأَسْوَد قارئا يقرأ: ﴿ ﴾

---

[1] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 20، والزبيدي ، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 27.

[3] – الزبيدي،" المصدر نفسه "، ص: 26.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21، و ابن سلام الجمحي ، محمد (ت231هـ)، "طبقات الشعراء مع مقدمة تحليلية للكتاب و دراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام ، دار النهضة العربية، بيروت ــ لبنان، 1969، دط، ص05 .

[5] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21.

[6] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 50/1.

[1] بكسر (رسول)، فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد وقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليُبغني كاتبا لَقِنًا يفعل ما أقول، فأُتي بكتاب من عبد القيس، فلم يرضه، فأُتي بآخر. قال أبو العباس المبرد: أحسبه منهم، فقال أبُو الأَسْوَد: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانْقُط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانْقُط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف فهذا نقط أبي الأسود[2]، وتَذْكُر بعض المصادر الأخرى أن أبا الأسود دخل على الإمام علي فوجد في يده رقعة فيها شيء من أبواب النحو؛ لأن عليا أقدم على ذلك لما رأى فساد اللسان العربي بمخالطة العرب للأعاجم، وفي هذه الرقعة تقسيم للكلمة (الكلام كله اسم وفعل وحرف...) ثم وضع أبو الأسود بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصل إلى أن وأخواتها، وكان كلما وضع بابا من أبواب النحو عرضه على الإمام علي، حتى قال له: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت؛ فلذلك سمي النحو"[3].

وقيل أن ابنةً لأبي الأسود قعدت معه في يوم قائظ شديد الحر، فأرادت التعجب من شدة الحر، فقالت: "ما أشدُّ الحرّ!" فقال أبوها: "القيظ، وهو ما نحن فيه يا بنية"، جوابا عن كلامها لأنه استفهام، فتحيرت وظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب، فقال لها: قولي يا بنية: " ما أشدَّ الحرَّ!" فعمل باب التعجب، وباب الفاعل والمفعول به وغيرها من الأبواب[4].

وذكر بن أبي سعد (ت 274 هـــ) عن عمر بن شبة (ت 202 هـــ) عن أبي بكر بن عياش (ت 173 هـــ) عن عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـــ) قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاما يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير!

---

1 ــ جزء من الآية : 03 من سورة التوبة .

[2] – يُنظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص: 190-191، وينظر: انباه الرواة، 1/ 40. وجاء في مراتب النحويين: فإن أتبعت شيئا من ذلك غنّة فاجعل النقطة نقطتين، ص: 23.

[3] – ابن الأنباري ،"نزهة الألباء"، ص: 18 – 19، و عبد الجليل مرتاض ،"بوادر الحركة اللسانية"، ص: 104.

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21 – 22.

توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! أُدع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي كنت نهيتك أن تضع لهم[1].

وفي رواية أخرى يذكرها الزبيدي في طبقاته أن أبا سعيد قال: ويُقال أن السبب في ذلك أيضا أنه مرّ بأبي الأسود سعد، وأن رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله، فمر سعد هذا بأبي الأسود، وهو يقود فرسه فقال: مالك يا سعد لما لا تركب؟ فقال: "إنَّ فرسي ظالِعٌ" أراد " ظالِعًا" [2]، فضحك به بعض من حضره، فقال أبو الأسود، هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة، فلو علمنا لهم الكلام: فوضع باب الفاعل والمفعول[3].

وهناك بعض الروايات التي تنسب وضع النحو العربي إلى نصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز، غير أن هذه الروايات قليلة جدا، ولقلّتها تكاد لا تُذكر[4].

وعن أول واضع للنحو العربي يقول العلامة ابن خلدون: إنّ أول من كتب في النحو أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويُقال بإشارة من علي كرم الله وجهه؛ لأنه رأى تغيّر الملكة فأشار عليه بحفظها ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد[5].

ولن أطيل الحديث بنقل كلام كل العلماء القدامى عن موضوع وضع النحو، بل أكتفي ببعض الآراء القليلة فقط.

فإذا رجعتَ إلى المراجع الحديثة وجدتَهَا هي الأخرى تذكر هذه الروايات التي اِطَّلَعَتْ عليها ودرَسَتها وناقشتها، لتخرج في آخر الأمر بآراء مختلفة إلى حد ما؛ حيث تُجمع غالبيتها على أن أول

---

[1] – الزبيدي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص: 21 ــ 22.

[2] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 191.

[3] – ابن النديم، "المرجع نفسه "، ص: 192، والزبيدي ، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 22.

4 – عبد الجليل مرتاض ، بوادر الحركة الأولى عند العرب ، ص :105 .

[5] – يُنظر: ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 622.

واضع للنحو هو أبو الأسود الدؤلي، والقليلون منهم فقط الذين يرون أن غيره هو الذي أخرج هذا العلم من العدم[1].

2 – المدارس النحوية الأولى:

رأيت أنّه لا بدّ لي في هذا الموضع أن أتقدّم بكلمة قصيرة عن المدارس النحويّة الأولى؛ التي كان لها كبير الأثر في منهج المدرسة الأندلسيّة .

2 –1 المدرسة البصرية:

2 – 1 –1 نشأتها: تُجمع المصادر على أن العراق كان مهدا لنشأة النحو وذلك لعدة أسباب من بينها،أنّ :

1/ العراق كان ملجأ للعجم قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح أقبل المسلمون عليها عرباوعجما[2]، بالإضافة إلى أنّها كانت تمتاز بأسباب الحياة الناعمة ورغد العيش [3]، فهي قطر غني يتوافر فيه العيش فيجد الناس من أوقاتهم ما يسمح لهم بالعلم[4].

2/كان العراق أكثر البلاد العربية إصابة بوباء اللحن وتعرضا لمصائبه؛ بسبب هذا المزيج بين العرب والعجم.

3/كان العراقيون ذوي عهد قديم بالعلوم والتأليف ولهم فيها خبرة متواترة[5].

أما بالنسبة للنشاط العلمي الذي كان في العراق فمركزه هو مدينتي البصرة والكوفة اللتين أنشئتا في خلافة عمر حوالي أربعة عشر للهجرة [6]، على يدي الصحابي عتبة بن غزوان رضي الله عنه [7]، عنه[7]، وقد كان لكل من المدينتين وجهتها الخاصة بها فيما يخص البحث والاستنباط في علم النحو، ونشأ عن هذا أن كان لكل منهما مذهبه الخاص[8].

---

[1] – يُنظر: أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 55.

[2] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 23.

[3] – إبراهيم عبود السامرائي ، " المرجع نفسه "، ص: 23.

[4] – ينظر: أحمد أمين، "فجر الإسلام"،دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1425هـ / 2004 ، ص: 178.

[5] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، دار الوعي ، الجزائر ، دط ، 2008، ص: 14.

[6] – عبد العزيز عتيق، "المدخل إلى علم النحو"، دار النهضة ، ط2 ، 1974 ، ص: 137.

[7] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، ص: 14.

[8] – يُنظر: عبد العزيز عتيق، "المدخل إلى علم النحو"، ص: 137.

ومدينة البصرة كما لا يخفى عن أحد كانت أسبق المدن العراقية اشتغالا بالنحو؛ حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة؛ التي كانت بدورها أسبق من بغداد[1].

وترجع أسبقية البصرة على غيرها من المدن العراقية في دراسة النحو والاشتغال به إلى عدة أسباب سأحاول اختصارها في نقاط ثلاثة:

أولا: الموقع الجغرافي: لعب الموقع الجغرافي الذي تحتله البصرة دورا بالغ الأهمية في جعلها تحتل المرتبة الأولى في الدراسات النحوية، فمنها خرج كبار النحويين الذين أسَّسوا للغة العربية أمثال: أبي الأسود،وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) والخليل بن أحمد (ت 175هـ) وسيبويه، فالبصرة تقع على طرف البادية بالقرب من بوادي نجد والبحرين، ونفذ إليها الأعراب من قلب الجزيرة العربية لتعليم أبنائها اللغة الفصحى وأشعارها وأخبار أهلها؛ لذلك لم تلوّث لغة أهلها بعامية الأمصار المفتوحة، فظلّت لغتهم سليمة لاختلاطهم بالعرب الأقحاح الموثوق بفصاحتهم[2]، فالبصرة كانت أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح، وهذا الأمر سهّل على أهلها الأخذ عن العرب دون تكلّف لعنا ء الرحلة والتنقل[3].

ثانيا: العامل السياسي: كانت البصرة عثمانية أموية، وكانت الكوفة علويّة عباسية[4]، كما كانت مقرّ علي رضي الله عنه وأتباعه، في حين كانت البصرة موئلا لعائشة رضي الله عنها التي أعلنت الحرب ثأرا لعثمان رضي الله عنه، فحدثت معركة الجمل، ثم أعقبها اختلاف عنيف في سياسة البلدين، وتعمَّق هذا الاختلاف، وتفاقم على مر الأيام وسرعان ما اشتد بعد أن ناصر الأمويون أهل البصرة وناهضوا أهل الكوفة، إلى أن قامت دولة بني العباس فعطفت على الكوفيين فعزّ جانبهم بعد ذل وأفل نجم البصريين بعد تألق، وقد أدَّى هذا الاختلاف بين البلدين إلى التباري والمفاخرة، وجرّ السكان فيهما إلى تطاول بعضهم على بعض فتولّد في نفوسهم إيثار المخالفة في المسائل العلمية على الموافقة عليها[5].

---

[1] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 23.

[2] – يُنظر: أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 153.

[3] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 25.

[4] – إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 24 .

[5] – يُنظر: أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص : 153.

ثالثا: سوق المربد: كان المربد سوقا من أسواق البصرة، تقع على ثلاثة أميال من طرفها من جهة الصحراء، يجتمع فيه أهل البادية الذين يجيئون من باديتهم للتجارة فيخرج إليهم أهل البصرة ليشتروا منهم ما جلبوه معهم من سلع.

وكما كانت الأسواق في الجاهلية تُعقد لتبادل المنفعة وفي الوقت نفسه كانت تنشط بحلقات الأدب، كان المربد كذلك يأتي إليه الأعراب، وربما يحضر بعضهم وليس لديه حاجة يقضيها سوى حبه وشغفه للقول والإنشاد، فيجتمع الناس ليستمعوا إليه، فالمربد أنسب مكان للشاعر حتى يُظهر فيه إنتاجه[1]، فهو يمثل عكاظ الإسلام[2].

وقد لعب اللغويون دورا في هذه السوق فيما يرويه أبوعلي القالي عن الأصمعي أنه قال: "جئت إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت من المربد، قال هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي فمرّ به ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو في الدرجة وقال: شمّرت في الغريب أي غلبتني[3].

ويُعدّ سوق المربد ثاني مركز ثقافي مهم في البصرة بعد المسجد الجامع، وقد تعاون كل من المركَزَيْن على نشر الثقافة والدعوة لها، وفي المركزين تلاقت الأفكار وتفاعلت الحضارات وصِيغت العقلية البصرية بصيغة مركبة ليست بالعربية الخالصة، ولا بالأجنبية الخالصة، ولكنها كانت مزيجا من هذه وتلك، إلاَّ أن الطابع العربي هو الغالب؛ لأن العربية لغة القرآن ولغة الدولة[4].

ومن أشهر المجالس التي عرفها مسجد البصرة الجامع: "مجلس الحسن البصري"، والحسن البصري أحد التابعين، وكان من الفقهاء والمحدّثين، ومن الفصحاء الذين كان أبو عمرو بن العلاء يُفضلهم في الفصاحة[5].

---

[1] – يُنظر: عبد الحميد الشلقاني، "رواية اللغة"، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 69.

[2] – سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 64.

[3] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، ص: 16.

[4] – مهدي المخزومي، " عبقري من البصرة"، ص: 13 .

[5] – يُنظر: مهدي العربي المخزومي، "عبقري من البصرة"، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص: 13.

2 -1- 2 أعلامها:

لقد وضعت البصرة من غير ريب أولى غراس النحو العربي كما سبق وتعهّدته بالري حتى استقام على سوقه، ونما أصولا وفروعا [1]، وكل هذا بفضل أعلام كثيرين تعاقبوا على هذه المدرسة فقدّموا لها وللنحو العربي بصفة عامة الكثير؛ حيث أسسوا المناهج للدرس اللغوي، ووضعوا القواعد للنحو، وما أكثر هؤلاء العلماء الذين لن نستطيع أن نذكرهم كلّهم في هذا الموضع، بل سنكتفي بذكر بعض ممن سبقوا في تأسيس هذه المدرسة فكانوا من روادها الأوائل ، ومنهم:

ـــ **أبو الأسود الدؤلي**: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حُليس بن نُفاثة بن عدي بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان علويّ الرأي ورجل أهل البصرة، وهو أوّل من رسم للناس النحو[2].

قال ابن النديم: "زعم أكثر العلماء أنّ النحو أُخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[3]. وتوفي أبو الأسود الدؤلي سنة تسع وستين في طاعون الجارف وهو ابن خمسٍ وثمانين سنة[4].

ـــ **نصر بن عاصم الليثي**: ويُقال الدؤلي المقرئ النحوي البصري، أخذ القراءة عن أبي الأسود الدؤلي، والنحو واللغة عن يحيى بن يعمر، وهو أوّل من وضع العربية، روى عنه القراءة أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وسمع منه قتادة[5].

جعله الزبيدي على رأس الطبقة الثانية، ويعتبر نصر بن عاصم من الرعيل الأول؛ إذ أسهم في الحركة النحوية مع أستاذه أبي الأسود الدؤلي[6].

و صنّفه السيوطي ضمن قدماء التابعين؛ حيث يقول على لسان ياقوت: كان فقيها عالما

---

[1] – عبد الحسين محمد، رشيد عبد الرحمن، طارق عون، "تاريخ العربية"، د.ط، د.ت، دون دار النشر، ص: 17.

[2] – الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين"، ص: 20.

[3] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 189.

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين "، ص: 26.

[5] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817 هـــ)، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، مراجعة: بركات يوسف هبّود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط2، 1422هـــ، 2001مـــ.ص: 190 .

[6] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص: 74.

بالعربية من قدماء التابعين وكان يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو وله كتاب في العربية.[1] وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء [2]، فنصر بن عاصم كان من الرجال الذين وضعوا للنحو أبوابا وأقاموا له بناء وشيدوا له أسسا[3].

يقول الزبيدي: فكان أول من أصّل ذلك وأعمل فكره فيه – أي النحو العربي – أبا الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا وأصَّلوا له أصولا فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم[4].

وقال عمرو بن دينار:" اجتمعت أنا والزهري ونصر بن عاصم، فتكلم نصر فقال الزهري: إنّه ليفلّق بالعربية تفليقا"[5].وتوفي نصر بن عاصم سنة تسعٍ وثمانين .[6]

ـــ **عبد الرحمن بن هرمز** : هو عبد الرحمن بن هرمز بن أبي سعد المديني المقرئ النحوي [7]،

يقول الزبيدي عن ابن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن سعد بن إبراهيم الزهري، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال حدّثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي النضر، قال: كان عبد الرحمن بن هرمز من أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش[8].

وعن الأنباري قال: قال أهل العلم: إنه أوّل من وضع علم العربية، والسبب في هذا القول إنّه أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وأظهر هذا العلم بالمدينة، وهو أول من أظهره وتكلم فيها، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش، وما أخذ أهل المدينة النحو إلاَّ منه ولا نقلوه إلاَّ عنه، و إليه أشار ابن برهان النحوي في أول شرحه في كتاب " اللّمع " بأن قال: "النحاة جنس تحته ثلاثة أنواع: مدنيون، بصريون، كوفيون، أراد أن أصل النحو نُتِجَ من أول علماء هذه المدن"[9].

ويُروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضي الله عنه اختلف إلى ابن هرمز عدة سنين

---

[1] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـــ)، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004مـــ، 1425هـــ، 312/2.

2 ـــ السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة "، 312/2 .

[3] – عبد العال سالم مكرم، "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، ص:75.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحوين واللغويين"، ص: 11.

[5] – الزبيدي، "المصدر نفسه "، ص: 27.

[6] – السيوطيي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، 2/ 312.

[7] – القفطي ، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت624هـــ)،"إنباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـــ بيروت، ط1، 2004، 2/ 172.

[8] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 26.

[9] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 171/2.

في علم لم يبثّه في الناس، يَرَوْن أن ذلك من علم أصول الدين وما يردّ به مقالة أهل الزيغ والضلالة[1].

وعبد الرحمن بن هرمز مدني تابعي، أخذ عنه نافع بن أبي نعيم القراءة في جماعة من أهل المدينة، وكان عبد الرحمن قد أخذ القراءة عن عبد الله بن العباس وأبي هريرة، نقل الأنباري عن ابن الجزار القيرواني أن أبا داود عبد الرحمن بن هرمز توفي بالإسكندرية سنة سبع عشرة ومائة، ودُفِن بها[2].

ـــ **عبد الله بن أبي إسحاق** : هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي، وهم خلفاء عبد شمس بن عبد مناف، أخذ عن الأقرن، وهو أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل، وكان مائلا إلى القياس في النحو [3]. النحو[3]. كما كان عالما بالقراءات، أخذ القرآن عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وروى عن أبيه عن جدّه عن علي[4]، وتناظر هو وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة، قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز بالهمز يومئذ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت[5].

نقل الزبيدي في طبقاته قول ابن سلام: "سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه، فقال: هو والبحر سواء؛ أي هو الغاية[6]، وتوفي ابن أبي إسحاق سنة سبع عشرة ومائة[7].

ـــ **أبو عمرو بن العلاء:** اسمه زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التيمي المازني. وهو بصري أخذ عن ابن أبي إسحاق، وكان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها من عبد الله بن أبي إسحاق، وكان من جِلَّة القراء الموثوق بهم[8]، أخذ القراءة عرضا وسماعا للحروف

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 26.

[2] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 173.

[3] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 31 ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 96

[4] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة"، 83/2.

[5] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 31.

[6] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص:31 .

[7] – الزبيدي، "المصدر نفسه"، ص: 33.

[8] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 35.

عن جماعة[1].قال يونس: لو كان أحد ينبغي أن يُؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يُؤخذ كله، ولكن ليس من أحد إلاَّ وأنت آخذ من قوله وتارك[2].

كان أبو عمرو رأسا في الثقافة العربية، وعَلَمًا من أعلامها الذين تطورت على أيديهم اللغة العربية في مجالاتها المختلفة شعرا ونقدا، ونحوا وصرفا وقرآنا وحديثا 3؛ لذلك استطاع أن يُصبح سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب4.

يقول أبو الطيب اللغوي: "أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا المبرد قال: حدثني العباس بن ميمون قال: حدثنا الأصمعي عن سفيان الثوري قا ل: كنا عند الأعمش وعنده أبو عمرو بن العلاء، فحدّث عن أبي وائل عن عبد الله [5]: كان النبي صلي الله عليه وسلم يتخولّنا بالموعظة"، ثم قال الأعمش "يتعاهدنا"[6] فقال له أبو عمرو: "إن كان يتعاهدُنا "فيتخوّننا"، فأما "يتخوّلنا" فيستصلحنا، فقال له الأعمش: وما يدريك؟ فقال: لئن شئت يا أبا محمد أن أعلمّك الساعة أن الله ما علَّمك من جميع ما تدعيه شيئا فعلتُ"[7].

توفي أبو عمرو بن العلاء بالكوفة سنة 154 هـ وعمره ستة وثمانون سنة[8].

ـ **الخليل بن أحمد:** هو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، قال ابن أبي خيثمة أحمد أبو الخليل: أول من سمي في الإسلام بأحمد، و أصله من الأزد من فراهيد[9]. قال محمد بن يزيد: ثم أخذ النحو عن عيسى عيسى بن عمر أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي، فلم يكن قبله ولا بعده مثله[10].

---

[1] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 79.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 35.

[3] – عبد العال سالم مكرم، "الحلقة المفقودة في النحو العربي"، ص: 195.

[4] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 28.

[5] – هو عبد الله بن مسعود، والحديث بهذا السند في صحيح البخاري، باب ما كان النبي ثلى الله عليه وسلم يتخوّلهم بالموغظة والعلم كي لا ينفروا، "كتاب العلم، رقم الحديث: 68، " ونصه فيه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1423هـ، 2002مـ، ص" 19 .

[6] – تعاهد وتعهد / تفقد.

[7] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 29.

[8] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 79.

[9] – ابن النديم، " الفهرست "، ص: 199.

[10] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 45.

وكان الخليل أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم؛ إذ "لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع."[1]

وكان الخليل ذكيا فطنا شاعرا، واستنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبط أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق[2]، وقيل إنه دعا بمكة أن يُرزق علما لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلاَّ إلاَّ عنه، فرجع من حجه، ففُتِح عليه بالعروض[3].

يقول الزبيدي: كتب إليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه إلى صحبته، وبعث إليه بطرف وكُسا ومال وفاكهة، فقبل الفاكهة، وصرف ما سوى ذلك وكتب إليه: [4]

أبلغ سليمان أني عنه في سَعَة وفي غنى غير أني لست ذا مال

وفيما نقله أبو الطيب اللغوي:" الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم ومُصَرِّفُها"[5].

حصر الخليل علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب "العين"، وله علم بالإيقاع وله كتاب فيه، ومعرفته بالنغم ومواقعها أحدث له علم العروض[6]، وهو أستاذ سيبويه، وعامّة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه: وسألته أو قال: من غير أن يذكر قائله فهو الخليل[7].

توفي الخليل بن أحمد سنة سبعين ومائة، وقالوا سنة خمس وسبعين، وهو ابن أربع وسبعين سنة[8].

ـــ **سيبويه:** هو عمرو بن عثمان بن قنبر[9] مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علّة بن جَلْد بن مالك بن أُدد. أخذ عن الخليل ولازمه وتتلمذ له وكان قد أخذ شيئا من النحو عن عيسى بن عمر الثقفي وعن يونس،وأخذ عن غيرهما وأخذ اللغة عن أبي الخطّاب الأخفش الكبير وغيره، وعمل كتابه المنسوب إليه في النحو، وهو مما لم يسبقه إليه أحد، وقد قيل إنه أخذ كتاب عيسى بن عمر

---

[1] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين "، ص: 45.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحوييين و اللغويين "، ص: 74.

[3] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 377.

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين "، ص: 47.

[5] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 46.

[6] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 378.

[7] – محمد إبراهيم البنا، "دراسات ونصوص لغوية"، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ، 2006مـ، ص: 63 .

[8] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين "، ص: 51.

[9] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 73.

المسمى بـــ"الجامع" وبسطه وحشّى عليه، من كلام الخليل وغيره، وأنه كان كتابه الذي اشتغل به، فلما استُكمل بالبحث والتحشية نُسِب إليه[1].

قال أبو علي البغدادي: ولد سيبويه بقرية من قرى شيراز يُقال لها البيضاء ، ثم قدم البصرة ليكتب الحديث، فلزم حلقة حصاد بن سلمة، فبينما هو يستملي على حمّاد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليس من أصحابي إلاَّ من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء** » فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء" وظنّه اسم ليس، فقال حمَّاد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتُ، وإنما "ليس" ها هنا استثناء، فقال سأطلب علما لا تلحنّي فيه، فلزم الخليل فبرع[2].

ويقول فيه أبو الطيب اللغوي: "سيبويه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سمَّاه الناس قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل" [3]. ويقول ابن النديم: " قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون اِنسانا منهم سيبويه، و الأصول والمسائل للخليل "[4]، ـومن غير خطّ ثعلب ـ" كان المبرد إذا أراد إنسان أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر"؛ تعظيما له واستصعابا لما فيه، وكان المازني يقول: "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستح"[5].

وقال أبو العباس المبرد: جاء الأخفش يناظر سيبويه بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنما ناظرتك لأستفيد لا غير، قال: أتراني أشك في هذا! [6]

كانت وفاة سيبويه في سنة ثمانين ومائة بفارس، في أيام الرشيد، وقبره بشيراز، وكان قدِم بغداد وجُمع له النحويون فناظروه، فاستُزِلّ فعاد إلى فارس ومات هناك.[7]

---

[1] – القفطي، "اِنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 346 ــ 347.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 66.

[3] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 73.

[4] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 233.

[5] – ابن النديم، " المرجع نفسه "، ص: 234، ويُنظر:القفطي، " انباه الرواة على أنباه النحاة "، 2/ 348.

[6] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 353.

7 ــ القفطي، " المرجع نفسه "، 2/ 353.

ـــ **أبو العباس المبرد:** هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُمير بن حسان بن سُليم بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم – وهو ثُمالة – بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث[1].

و فيما نقله ابن النديم:" انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي، وهو من ثمالة قبيلة من الأزد[2]. وأخذ النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما، وعلى المازني عوّل. ويُقال إنّه ابتدأ كتاب سيبيويه على الجرمي، وختمه على المازني[3].

قال عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب وأبو بكر بن أبي الأزهر: كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان وبراعة البيان، وملوكية المجالسة وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط وصحة القريحة، وقرب الإفهام ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق، على ما ليس عليه أحد ممن تقدَّمه أو تأَخَّر عنه. [4] وعن أبي بكر بن مجاهد:" ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لِمُتقدِّم."[5]

ترك لنا المبرد تصانيف كثيرة مشتهرة منها: "الكامل"، و"المقتضب"، و"الروضة" و"الاشتقاق" و"القوافي"[6]، وعن كتابه " الكامل" مثلا يقول أهل المغرب: "من لم يقرأ الكامل فليس بكامل، ومن لم يقرأ أمالي القالي فهو للأدب قالٍ"[7].

كان مولد المبرد يوم الاثنين في ذي الحجة ليلة لأضحى سنة عشر ومائتين، وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائتين[8].

2 ــ 1 ــ 3: منهجها:

كان علماء البصرة دائمي الترحال إلى البادية والجزيرة يتلقون عن أعرابها، والأعراب أيضا كانوا دائمي التردد على البصرة لقضاء حوائجهم. فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي وأبو عبيدة

---

[1] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 101، ويُنظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص: 265 ــ266.

[2] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 266.

[3] – ابن النديم، " المرجع نفسه "، ص: 266 .

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 101.

[5] – محمد إبراهيم البنا، "دراسات ونصوص لغوية"، ص: 117.

[6] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 267.

[7] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 177.

[8] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 110.

ويونس وأبو زيد والخليل، وغيرهم، ثم كانوا يتحرُّون في الأخذ، أمّا العربي فيتحرُّون فيه سلامة لغته وسليقته[1]، ومن ذلك ما يحكى أنّ أبا عمرو استضعف فصاحة أبي خيرة لما سأله، فقال: كيف تقول: "استأصل الله عرَقاهم؟"، ففتح أبو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لان جلدك![2] وهذا يعني أنّ اللحن بدأ يسري إلى الأعراب؛ لأن أبا عمرو كان قد سمع أبا خيرة؛ وهو أحد الأعراب الذين أُخِذت عنهم اللغة يروي الشاهد بالكسر، فلم يتردد في مؤاخذته باللحن وذلك لتقدمه في السن وطول مخالطته لأهل الحواضر[3].

والبصريون كما نعلم لا يطمئن بالهم لِلُغة الحواضر؛ والدليل على هذا ما ذهب إليه سيبويه في كتابه إلى أن تحقيق الحجازيين لهمزة "نبيء" رديء فقد قال: وقالوا: نبيٌّ وبرية، فألزمهم أهل التحقيق البدل، وليس كل شيء نحوهما يفعل به هذا، وإنما يؤخذ بالسمع، وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون " نبيء " و" بريئة" وذلك قليل رديء [4]، وهذا يعني أن سيبويه يحرص على المسموع، فهو يري التحقيق في الهمزة في هاتين الكلمتين ردئ قليل و إن ورد في قراءة جماعة من أهل العلم[5].

وبالتالي نستنتج أن نحاة البصرة وعلى رأسهم أستاذهم سيبويه يتشددون في السماع تشددهم في القياس، فهم لا يأخذون إلاَّ عمن يُوثق بعربيّتهم فصاحة وأصالة، مبتعدين عمن لا يُطَمْأَنُ إليهم بسبب مخالطتهم غير العرب من الذين جاوروهم أو كانوا على مقربة منهم[6].

وأما الشروط التي كان يتطلبها البصريون في الراوي؛ فهي: الصدق والضبط، وعدم الاعتداد بالشاهد إذا لم يُعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته*[7]. ووصفوا كل الشواهد التي خرجت على

---

[1] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 65.

[2] – ابن جني، "الخصائص"، 2/ 13.

[3] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 18.

[4] – سيبويه، "الكتاب"، 2/ 170.

[5] - يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المرجع السابق"، ص: 18.

[6] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 19.

* – في كتاب سيبويه (1050) شاهدا، خمسون منها لم يعرف قائلوها فاعتذروا أن سيبويه وثق برواتها،ومع هذا كان بين هذه الخمسين ما وضع وضعا، وهو نزر يسير لا يعتد به.

[7] – ينظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 65.

المسموع الشائع في أنها شاذة أو أنها ضرورة، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون أساسا في حكم ما[1].فها هو ذا عبد الله بن أبي إسحاق وهو بصري نجده شديد التجريد في القياس [2] سريعا إلى تخطئة المعربين إذا خرجوا عن المألوف في كلام العرب، فقد آخذ على **الفرزدق** (ت110 هـــ) خروجه على العربية[3]، وكذلك النحوي البصري **عيسى بن عمر** (ت 149هـــ)؛ الذي تجاوز هذا الحدّ فراح يتعقّب الجاهليين[4].

إنَّ المطلع على المذهب البصري يجده مذهبا حاول أن يُدخل مسائل النحو في بودقة المنطق بأقيسته وتعليلاته، وفروضه وتأويلاته، قبل الرجوع إلى كلام الله وكلام العرب؛ لعرض هذه المسائل في ضوئهما، ومن هنا كان القياس من أهم ما ارتكز عليه المذهب البصري [5]؛ الذي فضلوه فآمنوا بسلطانه وجروا عليه، وأهدروا ما عداه، وإذا رأوا لغتين: لغة تسير مع القياس، ولغة لا تسير عليه؛ فضّلوا التي تسير عليه، وضعّفوا من قيمة غيرها، فهم – في الواقع – أرادوا أن ينظّموا اللغة ولو بإهدار بعضها، وأرادوا أن يكون ما سُمع من العرب مخالفا لهذا التنظيم، مسائل شخصية جزئية يتسامحون فيها نفسها ولا يتسامحون في مثلها، والقياس عليها حتى لا تكثر فتُفسد القواعد والتنظيم، هذا إذا لم يتمكّنوا من أن يؤوّلوا الشاذ تأويلا يتّفق وقواعدهم ولو بنوع تكلّف[6].وسأحاول الآن حصر المنهج البصري في النقاط التالية:

2 – 1 – 3 – 1: المادة العلمية: اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان[7]، ولذلك لم يأخذوا اللغة من كل قبيلة يجدونها أمامهم، بل وضعوا شروطا معينة في القبيلة المأخوذ عنها ومن هذه الشروط:

– **عدم تأثر تلك القبيلة بلغات العجم عن طريق الاختلاط أو الجوار**، وبالتالي كانوا يفضّلون القبائل التي تعيش في عزلة تامة؛ حيث تنغلق عليها أبواب الصحراء فكملت لغتها

---

[1] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 17.

[2] – ابن الأنباري ، "نزهة الألباء"، ص: 26.

[3] – ابن الأنباري، " المرجع نفسه "، ص: 27.

[4] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 17.

[5] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 91.

[6] – أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، 2/ 195.

[7] – يُنظر: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، تحقيق: أحمد محمد قاسم، القاهرة، مصر، ط1، 1396 هـــ، 1976مـــ، ص: 56، والسيوطي،"المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، 173/1.

وصينت من كل تحريف[1]. وقد اتّكل البصريون على تلك القبائل في الغريب وفي الإعراب [2]، ومن هذه القبائل: قيس وتميم وأسد، فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف، ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، و لم يأخذوا عن حضريّ، ولا من سكان البراري الذين جاوروا الأمم الأخرى[3].

– **اختيار سلامة المأخوذ عنهم**: لم يتردد البصريون في اختبار سلامة لغة من يشكّون في أمره ممن سبق ذكره من القبائل الفصيحة مثلما حدث مع أبي عمرو بن العلاء و الأعرابي أبا خيرة؛ الذي أصاب لسانه اللحن في آخر أيامه؛ وذلك بعد مخالطته لأهل الحواضر[4].

– **التأكد من الثقات في صحة المروي** ، فقد كان البصريّون يتحرُّون عن الرواة فلا يأخذون إلاَّ برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفصحا ء عن طريق الحفظة و الأثبات الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات عن قائليها منسوبة إليهم[5]؛ حيث تجدهم لا يطمئنون إلى كل رواية ترد عن العرب الجاهلية إلا إلا بعد تدقيق وتمحيص، فوضعوا مقاييس لتصحيح هذه الروايات الواردة عن العرب، فكان منهجهم في الدقّة والتشدّد كمنهج علماء الحديث أو أشدّ، وكانوا يرفضون كل الروايات الشاذة[6].

– **كمية المقيس عليه المنقول عن العرب**: تمسك البصريون بمبدأ الكثرة و لم يجيزوا القياس إلا على الأكثر المشهور[7]؛لذلك كان تقعيدهم على الأكثر، وإلا فعلى الكثير وإلا فعلى القليل، وإلا فعلى الأقل، وإلا فعلى النادر، وإلا قاسوا الأشباه على الأشباه والنظائر على النظائر؛ إذا لم يتناقض مع الوارد. ولذا اعتبر سيبويه قياس فعولة بفعيلة في النسب إليها بحذف صوت المدّ وقلب الضمة فتحة و إن لم يرد منها إلا شيء في النسب إلى شنوءه؛ لأنه لم يرد ما يخافها [8]، فإذا ما خالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا يحفظ ولا يُقاس عليه، وقد ينكرونه أو يقولون إنّه ضرورة[9].

---

[1] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 95.

[2] – أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 100.

[3] – يُنظر: السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 56، و" المزهر في علوم اللغة و أنواعها"، 1/ 173.

[4] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص:30.

[5] – إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 31.

[6] – يُنظر: التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، ص: 76.

[7] – يُنظر: التواتي بن التواتي، " المرجع نفسه "، ص: 76 .

[8] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 31 ــ32 .

[9] – إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص:32

2 – 1 – 3 – 2 : المصادر اللغوية للقياس عند البصريين:

اعتمد البصريون في دراستهم طائفة من المصادر، وهي:

2 – 1 – 3 –2 –1: القرآن الكريم: أقام البصريون نحوهم على القرآن الكريم؛ حيث استشهدوا به في كثير من المسائل، فكان القرآن أحد مصادرهم المهمة والأساسية [1]، ولكنهم ضيَّقوا في هذا أشدّ الضيق؛ بحيث لم يأخذوا بقراءات عدّة، وهي من العربية، ولها أساس في لغات العرب، فقد حملوا على الخطأ قراءة عبد الله بن عامر مقرئ أهل الشام في قوله تعالى: **[وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ]** [2] بنصب "أولادهم" وجرِّ "شركائهم"، والخطأ المزعوم في هذا أنهم أنهم يمنعون الفصل بين المتضايفين في غير ضرورة الشعر، فلم يقبلوا قراءة ابن عامر مع علمهم أن للقراءة سندا متصلا، وأنّ القراءات السبع مما يجب أن يؤخذ به، وهي حجة قائمة[3].

ومن الشواهد المعروفة في تخطئتهم للقراءة ما كان منهم في قراءة حمزة **[وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ]** [4]بجر " الأرحام"، ووجه التخطئة أنهم لا يجيزون العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ما عدا ما ورد من ذلك ضرورة. وقد قرأ بقراءة حمزة ابن عباس، والحسن البصري. [5]

وإذا كان نحاة البصرة قد تجرأوا على تخطئة قراءات مشهورة؛ لأنها تخالف قواعدهم فإنهم من غير شك لن يترددوا في رد الشواذ منها رغم اتصال سندها وجريها على العربية[6].

2 – 1 – 3 – 2 – 2:الشعر الجاهلي والإسلامي: اعتمد البصريون أشعار العرب الجاهليين؛ حيث اعتبروها أصلا من أصولهم، وقد تجاوزوها أحيانا إلى الشعر الإسلامي، فكان لهم من شعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤبة وأبي النجم مادة اعتمدوها في نحوهم، ولا نعدم أن نجدهم استشهدوا بشعر بشار بن برد ،و إن تجاوز عصر الحقبة التي وقفوا عندها في استشهادهم[7].

---

[1] – إبراهيم عبود السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 33.

[2] ــ الآية 137 من سورة الأنعام .

[3] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 22.

[4] ــ الآية 1 من سورة النساء .

[5] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 22 ــ23.

[6] – إبراهيم السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 23.

[7] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 20 ــ21.

وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعر بشار؛ تقرّبا إليه ليسلم من هجائه؛ فقد"عاب سيبويه أحرفا على بشار، ونسبه فيها إلى الغلط، كالوجلى من الوجل، وجمع نون حوت على نينان؛ فهجاه بشار، فتوقاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سئل عن شيء، فأجاب عنه، ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشره، وتوفي **بشار** سنة (ت 197 هـــ) وقد نيف على التسعين" [1]، ونقل ثعلب عن الأصمعي قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج، ومن المعلوم أن ابن هرمة وُلد سنة تسعين للهجرة، وعمّر طويلا حتى تجاوز منتصف القرن الثاني[2].

ولا بد لنا أنّ ندخل في هذا المصدر ما رووه عن الأعراب الجاهليين، وغيرهم ممن انقطعوا إلى البداوة من قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وكنانة وطيء، و لم يتأثّروا بأولئك الذين كانوا في أطراف بلاد العرب؛ الذين تأثروا بلغات الأقاليم المجاورة، على أنّ أوائل البصريين قد اطمأنّوا إلى سلامة لغة جماعة من العلماء ممن ينتمون إلى أصول غير عربيّة، فقد جاء أنّ عمرو بن العلاء قال في الحسن البصري: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما أفصح، قال: الحسن"[3].

وأخيرا يمكننا القول إن لغة القرآن الكريم، والشعر القديم، وما أثر من الأمثال الجاهلية، مثّلت المادة التي احتج بها البصريون في وضع أصول العربية.

2 – 1 – 3 – 2 – 3: الحديث النبوي الشريف: ومما يؤخذ على البصريين أنهم استبعدوا الحديث الشريف في استشهادهم؛ بحجة أن الحديث يشتمل على قدر كبير روي بالمعنى و لم يضبط بلفظه[4]، وقد تداوله الأعاجم والمولّدون قبل تدوينه فرووه بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا، وقدّموا وقدّموا وأخّروا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويا على أوجه شتى [5]، وسيأتي تفصيل هذا في فصل لاحق.

---

[1] – يُنظر: مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب"، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421هـ /2000 ، 279/1.

[2] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 70.

[3] –ابن خلّكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"،دار صادر ، بيروت ـــ لبنان، دط، 1/ 70.

[4] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 26.

[5] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 52.

ويرى البصريون أنّ طائفة كبيرة من المحدّثين لم يكونوا عربا ينتمون إلى أصول عربية وبالتالي لم يكونوا موضع ثقة في عربيتهم، وهذا نظر غير سديد؛ ذلك أنّ رجال الحديث قد تحرّوا التدقيق والضبط وتتشددوا في ضبط الحديث، وأخضعوا هذه اللغة الشريفة إلى ما دعوه "الجرح والتعديل"؛ الذي تناولوا فيه رواة الحديث، فكان لهم فيه موازين دقيقة، ومن هنا لم يكن للنحاة أن يرفضوا هذه اللغة التي بُولغ في نقدها وضبطها، والوصول بها إلى الكمال في الصحة والصواب [1].وبالتالي نلاحظ أن البصريين قد أغفلوا موردا لغويّا كبيرا، وهو الحديث الشريف.ولن نطيل الحديث عن الاستشهاد بالحديث؛ بل سنرجؤه إلى موضعه .

2 – 2 المدرسة الكوفية:

لقد عُرفت الكوفة كما عُرفت البصرة؛ فكلاهما مصران قد مصرهما المسلمون واشتُهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي[2].

2 – 2 – 1 :نشأتها:

أنشئت الكوفة بعد البصرة بحوالي سنتين على يدي الصحابي الجليل سعد بن أبي الوقاص في موضع تخيره لها أسفل من موقع الحيرة و الأنبار اللتين عرفهما العرب قديما [3]، ولقد شغلت الكوفة كنظيرتها البصرة مكانا واضحا في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة، فقد عرفت الكوفة بعلويّتها كما عرفت البصرة بعثمانيتها[4].

وكانت الكوفة مركزا من مراكز العلم كما كانت البصرة، و لم يثبت للباحثين سواء القدماء أو المحدثين سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين إلاَّ ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة قبل الكوفة، وإذا قيل النحو فلا بد أن يكون مما اشتمل عليه علوم العربية عامة[5]، فقد تركت الكوفة للبصرة وضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم، ووضع نقط الإعجام والأنظار والأنظار النحوية والصرفية الأولى؛ التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ إذ كانت في شغل عن ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه، وبالقراءات ورواياتها

---

[1] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ، ص: 26.

[2] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 31.

[3] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية "، ص: 27.

[4] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 31.

[5] – إبراهيم السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 31.

رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي، وهو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءتهم في العالم العربي، وهم: عاصم وحمزة والكسائي، وعُنيت بجانب ذلك برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، و إن كانت لم تعن بالتحري والتثبيت فيما جمعت من أشعار[1].

إذا، فقد جاءت المدرسة الكوفية بعد نظيرتها البصرية؛ حتى تُشاركها في وضع القواعد النحوية للغة العربية، فكان منهم نحاة وعلماء لغة وأصحاب روايات في القراءات وسائر فنون العربية، وما يتصل بها من أخبار وعلم بالأيام والوقائع[2].

وقد أجمع المعنيّون بدراسة تاريخ النحو القديم على أن بداية النحو الكوفي كانت مع أبي جعفر الرؤاسي؛ الذي كان أستاذا للكسائي (ت 189 هـــ) والفراء(ت207 هـــ) كما عدّ أصحاب التراجم[3] من النحويين الكوفيين الأوّلين معاذ بن مسلم الهراء(ت187 هـــ) وهو أستاذ الكسائي[4]، وكان عالما بالنحو والصرف حتى قيل إنه أول من وضع التصريف[5]؛ غير أن ثمار جهود الرؤاسي ومعاذ لم تظهر إلا بعد أن أخذها الكسائي من معاذ وناقشها مع الخليل، وأغناها برحلته في قبائل العرب، ثم أضاف إليها ما أخذ عن يونس الضبي، وعلى هذا فإنّ إمام المذهب الكوفي في النحو هو الكسائي [6]، أمّا أمّا الفراء فهو الرجل الذي تبلورت على يديه معالم مذهب الكوفة النحوي[7].

كما سبق وذكرت، فالمدرسة الكوفية جاءت متأخرة عند الكسائي، وقد استطاع هو وتلميذه الفراء أن يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطوابع خاصة من حيث الاتساع في الرواية،

---

[1] – شوي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 153.

[2] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 31.

[3] – يُنظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص: 294.

[4] – القفطي ، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 288.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات النحويين و اللغويين"،2/ 293، ويُنظر: أحمد الحملاوي، "شذا العرف في فن الصرف"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، ط1، 2004، ص: 19.

[6] – محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـــ ، 2008مـــ، ص: 104.

[7] – محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 1427هـــ، 2006مـــ، ص: 51.

ومن حيث بسط القياس وقبضه، ومن حيث وضع بعض المصطلحات الجديدة، ومن حيث رسم العوامل والمعمولات. [1]

وتوسّع الفراء خاصة في تخطئة بعض العرب وإنكار بعض القراءات الشاذة، [2] والكسائي هو الذي فتح الباب لتخطئة بعض القراء؛ إذ ترى الفراء يتوقّفه في كتابه "معاني القرآن" ويقول: "كان الكسائي لا يجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك" [3]، كما كان كل من الفراء والكسائي وهما رأسا الكوفة يتوسعان في الرواية عن الأعراب [4].فحاولوا أن يصنعوا مدرسة خاصّة بهم يستقلون بها عن مدرسة البصرة، على الرغم من أنّ أئمتهم الأولين قد أخذوا قواعد النحو وأصوله عن البصريين، كما ثبت عنهم عكوفهم جميعا على كتاب سيبويه، لذلك حاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهم [5].

ومن بعض المصطلحات التي انفرد بها الكوفيون نذكر ما يلي:

ـــ الخلاف: عامل ينصب الخبر في نحو: "زيد أمامك".

ـــ الصرف: عامل ينصب المفعول به في مثل: "جاء زيد وطلوع الشمس".

ـــ التقريب: مثل هذا في "هذا زيد قائما"، ونحوه، فـــ"هذا" في هذا الموضع من أخوات كان. [6]

إضافة إلى مصطلحات أخرى ، نحو:الفعل الدائم، والمكنى أو الكناية، والمجهول، إلى غير ذلك من المصطلحات التي وضعها الكوفيون؛ حتى يميزوا مدرستهم عن المدرسة البصرية. [7] أما بالنسبة لرسمهم لرسمهم للعوامل والمعمولات فمن ذلك: إعراب المبتدأ والخبر، فقد ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع

---

[1] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 06.

2 ـــ شوقي ضيف، " المرجع نفسه "، ص60 .

[3] – شوقي ضيف، " المرجع نفسه "، ص: 157.

[4] – يُنظر: محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، ص: 51.

[5] – يُنظر: شوقي ضيف، " المدارس النحويّة "، ص: 165.

[6] – يُنظر: تمام حسان، "الأصول: دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: النحو – فقه اللغة – البلاغة"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1411 هـــ، 1991مـــ، ص: 43.

7 ـــ تمام حسان، " الأصول "، ص43 .

الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما مترافعان [1]، ومن ذلك أيضا إعراب الفعل المضارع المرفوع، فقد اضطرب الكوفيون في علة إعرابه والعامل فيه؛ فذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بحروف المضارعة، **فأقوم** مثلا مرفوع بالهمزة، ولم يرتض هذا الرأي الفراء فقال إنه مرفوع بتجرده من النواصب والجوازم، وهو بهذا اتجه اتجاه الأخفش الذي يقول إنه مرفوع لتعريه من العوامل اللفظية، ولكن الفراء حاول فقط التغيير والتحريف والتبديل في رأي الأخفش، وهناك آراء أخرى كثيرة فيما يخص رسم الكوفيين للعوامل والمعمولات[2]، لا يتّسع المجال لذكر كلّ ما أمكن الاطلاع عليه.

ولما أخذ علماء الكوفة يبرزون شيئا فشيئا، أقبل طلاب العلم يتهافتون عليهم ليأخذوا عنهم النحو، ويتلقوا عليهم مسائله وأصوله، وبذلك تكوّن للكوفيين منهج خاص بهم تحقق لهم بعد طول النظر وكثرة الجدل، وكان هذا المنهج مغايرا في بعض أسسه للمنهج البصري، الأمر الذي أدى إلى الخلاف بين المدرستين وقد اشتد النزاع بين الطائفتين، وكان لكل مدرسة أنصار وأتباع[3].

2 – 2 – 2 : أعلامها:

سأحاول أن أشير إشارة موجزة لأهمّ أعلام الكوفة، لأن هدفي ليس إحصاء كل الأعلام الذين وضعوا أسس المذهب الكوفي النحوي، بل ذكر بعض من الذين سبقوا في تأسيس هذه المدرسة.

– **أبو جعفر الرؤاسي**: هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة، لقّب بالرؤاسي لعظم رأسه[4]، وكان أستاذ أهل الكوفة في النحو، أخذ عن عيسى بن عمر، وله كتاب في الجمع والإفراد [5]، ويُروى عنه أنه قال: بعث إلي الخليل يطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه ووضع كتابه، وقال:"كل ما في كتاب سيبويه: قال الكوفي،فإنما يعني الرؤاسي"[6].

---

[1] – السيوطي ، جلال الدين(ت911هـ) ، "همع الهوامع في جمع الجوامع"، شرح و تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وعبد العالي سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، دط،1421هـ/2001، 08/2.

[2] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 168 ــ 169.

[3] – يُنظر: جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 159.

[4] – يُنظر: ابن ابن النديم، "الفهرست"، ص: 293، والزبيدي، " طبقات اللغويين و النحاة"، ص: 125، وأبو الطيب اللغوي"مراتب النحويين"، ص: 39.

[5] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 125.

[6] – ابن النديم ،"الفهرست"، ص: 294.

توفي الرؤاسي أيام الرشيد، وله من الكتب: "كتاب الفيصل"، "كتاب التصغير"، "كتاب معاني القرآن" و"كتاب الوقف والابتداء الكبير"، كما له "كتاب الوقف والابتداء الصغير "[1].

ـــ **معاذ الهراء:** وهو معاذ بن مسلم الهراء، وكان يبيع الهروى (من الثياب)[2] فسمي بذلك، وهو نحوي كوفي كما كان أستاذا للكسائي[3].

يقول ابن النديم: معاذ الهراء عمّ الرؤاسي [4]، وعاش معاذ الهراء إلى أيام البرامكة، وولد أيام يزيد بن عبد الملك، ومات في السنة التي نكبت فيها البرامكة سنة سبع وثمانين، ويضيف صاحب الفهرست قائلا: ولا كتاب يُعرف للهراء[5].

ويقول السيوطي: قال ابن النجار في تاريخ بغداد : كان من أعيان النحاة، أخذ عنه أبو الحسن الكسائي وغيره، وصنف كتبا في النحو، وروى الحديث عن جعفر الصادق، وعطاء بن سائب، وروى عنه عبد الرحمن المحاربي والحسن بن الحسين الكوفي[6].

– **الكسائي:**أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي مولى بني أسد، من أهل باحمشا [7]، أخذ عن الرؤاسي، ودخل الكوفة وهو غلام وأدب ولد الرشيد[8]، وهو إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين، وسمي الكسائي؛ لأنه أحرم في كساء، وقيل لغير ذلك[9].

قال الفراء: إنما تعلّم الكسائي النحو على الكبر، وكان سبب تعلمه أن جاء يوما وقد مشى حتى أعيا فجلس إلى الهبَّاريين، وكان يجالسهم كثيرا. فقال: قد عَيَّيْتُ، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن! قال: كيف لحنت؟ قالوا له: إن كنا أردتَ من التعب، فقل: "أعْييت"، وإن كنت تريد من انقطاع الحيلة فقل: "عَيِيت" (مخففة)، فأنت من هذه الكلمة لحنت، ثم قام من فوره ذلك يسأل عمن يعلِّم

---

[1] – ابن النديم،" الفهرست "، ص: 295.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 125.

[3] – القفطي "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 288.

[4] – ابن النديم، "الفهرست"، ص:295.

[5] – ابن النديم، " المرجع نفسه "، ص: 296.

[6] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 294.

[7] – باحمشا: بسكون الميم.

[8] – الزبيدي، "طبقات اللغويين و النحاة"، ص: 127.

[9] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 2/ 183.

النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده [1].ثم خرج إلى البصرة و تتلمذ على الخليل، ثم خرج إلى وادي الحجاز ونجد وتهامة وكتب عن العرب كثيرا[2].

2 –2 –3 – منهجها:

2 –2 – 3 –1 استشهادهم بلهجات عرب الأرياف: استشهد الكوفيّون بلغات سكان الأرياف لثقتهم بها؛ في حين رفض البصريون الاستشهاد بها لضعف فصاحتها [3]، ومن قبائل الأرياف: أهل اليمن الذين لا يُوثق بفصاحتهم في رأي البصريين؛ لاختلاطهم بسكّان الحبشة والهند ، والتجار الذين يَفِدُون إليهم من مختلف الأنحاء[4]، وفي هذا يقول الرياشي البصري (ت 257 هـــ): "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع وهؤلاء – يعني أهل الكوفة – أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ[5] وأكلة الشواريز[6] "[7].

ويقول أبو زيد (ت 215 هـــ) عن الكسائي: ثم سار إلى بغداد فلقي أعراب الحليمات[8]، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة[9].

إذا، فالكوفيون لم يبالغوا في التحري والتنقيب حتى قيل عنهم بأنهم أفسدوا النحو بأخذهم عمن فسدت لغتهم[10].

2–2–3– 2 : قياسهم على القليل النادر : اعتمد الكوفيون القياس على القليل النادر باعتبار أنّ ما ورد في اللغة يُعد قليلا بالنسبة لما ضاع منها، مستندين إلى ما قاله أبو عمرو بن العلاء في

---

[1] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2 /257 ــ258.

[2] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ اللغة"، ص: 124 ــ125.

[3] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 122.

[4] – جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره "، ص: 159.

[5] – الكواميخ: جمع كامخ: نوع من الأدم.

[6] – الشواريز: اللبن الرائب المستخرج ماؤه والمفرد " شيراز"، الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"،تحقيق : أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ،ط2 ، 2007 ، ص: 537.

[7] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو "، ص: 202.

[8] – الحليمات: قوم من زعانق العرب اختل لسانهم.

[9] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص:30.

10 – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 30.

هذا الأمر: "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلاَّ قلّة، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[1]، وقد أشاد الكسائي بالقياس فناط به القاعدة بدون ورود لمطلق شاهد[2].

2-2 -3 - 3 : **قياسهم قواعدهم على كل مسموع والاكتفاء بالشاهد الواحد** : ولو خالف الأصل المعروف المتفق عليه بين الفريقين، فهم لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا، وبوّبوا عليه خلافا للبصريين[3].

2-2 -3 - 4: **لم يشترطوا للقياس كثرة كاثرة** : بل قاسوا على الشاهد الواحد، ولو جاء مخالفا للكثرة المتفق على القياس عليها، فما أوَّله البصريون أو اعتبروه شاذا أو ضرورة قبله الكوفيون وجعلوه مقيسا عليه. [4] لذلك فقد كثرت الأقيسة والقواعد عند الكوفيين، واشتهر البصريون بأنهم أهل السماع، أمّا الكوفيون فاشتهروا بأنهم أهل قياس[5].

2-2 - 3 -5: **التساهل في التثبيت من معرفة القائل**: وربّما استشهدوا بشطر بيت لا يُعرف شطره الثاني، ولا يُعلم قائله؛ كدليلهم على جواز دخول اللام في خبر (لكن)، كقول الشاعر:

..... ولكنني بحبها لعميد[6]

فالكوفيون تساهلوا في التثبّت من صحة المسموع وأمانة راويه وسلامة قائله، فأخذوا عن حماد الراوية(ت 155 هـــ) وخلف الأحمر(ت 180 هـــ)، وكلاهما متَّهم في روايته، يضع الشعر وينسبه إلى غيره من الأقحاح[7]؛ أي أن الكوفيين لم يتحرّوا صحة ما وصل إليهم من موادّ[8].

2-2 - 3 - 6 : **الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته**: لقد توسع الكوفيون بكثرة في الرواية؛ حيث جعلوا القراءات مصدرا مهما من مصادر علمهم، لا يرفضون قراءة صحّ سندها، و إن

---

[1] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 100.

[2] – جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 160.

[3] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 202، وجميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 160.

[4] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 202 .

[5] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 32.

[6] – ينظر: جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"ص: 160.

[7] – يُنظر: محمد الطنطاوي، "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة"، ص: 141.

[8] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 31.

تعارضت مع الأصول التي يضعها أهل الصنعة [1]، فكلام الله عندهم" أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه"[2].

وسبق ورأينا أنّ الكوفيين تساهلوا فيما يخص الاستشهاد بلغة عرب الأرياف ففتحوا هذا الباب على مصراعيه، وأخذوا عن كل العرب بدون استثناء على عكس البصريين، لذلك نجدهم في مجال القرآن الكريم أكثر استدلالا بالآيات القرآنيّة واحتجاجا بأساليبه من البصريين؛ ذلك أنّهم يؤمنون أنّ القرآن جاء بلغات مختلفة فصيحة، فهو أحق بالقبول وأجدر بالأخذ عند بناء قاعدة أو تقرير حكم، أو تصحيح أسلوب[3].

2-2 - 3 - 7 :**الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف**: وأمّا فيما يخصّ الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند نحاة الكوفة، فإذا أخذنا على سبيل المثال علمين بارزين من هذه المدرسة، وهما: الكسائي وتلميذه الفراء، وليس هناك من يمثل المدرسة النحوية الكوفية أحسن منهما، فإننا نجد أنّ الكسائي وافق البصريين في استبعادهم الاستشهاد بالحديث[4]، وتبعه في ذلك الفراء الذي لم يستشهد في في كتابه "معاني القرآن" بالحديث النبوي إلا ما جاء عرضا وعفوا؛ بحيث لا يصحّ التعميم عنده، وأن يقال إنه كان يستشهد به، فقد كانوا يصطلحون على أنّ روايته بالمعنى، وأنّه رواه أعاجم غير ثقات في العربية[5].

2 – 3 : المدرسة البغدادية:

2 – 3 – 1: نشأتها : نشأت بغداد على يدي أبي جعفر المنصور لتكون حاضرة خلافته، وموطنا لجنده، فلم يكن لها بالعلم في أوّل الأمر سابق عهد[6].

ولكن هذا لم يمنع بغداد من أن تكون سوقا يروج فيه العلم والأدب؛ حيث أن العلماء كانوا يرتحلون إليها من جميع الأقطار، فكل يحمل إليها طابع بلده الخاص، فالتقت هذه الألوان والطوابع المختلفة للعلوم، لتحتكّ وتمتزج فيما بينها لتعطي لنا ألوانا جديدة مطبوعة بالسمة البغدادية العامة،

---

[1] – يُنظر: محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة ألأندلس"، ص: 32 ــ 33.

[2] – "خزانة الأدب"، 9/1.

[3] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 123.

[4] – يُنظر شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 215.

[5] – يُنظر شوقي ضيف، "المصدر نفسه"، ص: 215.

[6] ينظر: ابراهيم محمد نجا، "المذهب النحوي البغدادي" ، دار الحديث- القاهرة- (دط)-1429هـ/2008م، ص: 18.

وذلك ما حدث في النحو، فقد نشر الكوفيون فيها نحوهم، كما قصدها أيضا نحاة بصريون عملوا على نقل آرائهم إلى هناك، فنشأت طبقة جديدة في بغداد، اختارت من المذهبين، وكوّنت ما عرف بالمذهب البغدادي.[1]

وكان من أهمّ ما هيئ لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، ولذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابها والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة.[2]

وكان من هذا الجيل نحاة يغلب عليهم الميل إلى الآراء الكوفية، وآخرون يغلب عليهم الميل إلى الآراء البصرية[3]. وذلك تبعا لمن تتلمذوا على يديه، ومنهم من أخذ عن البصريين فغلبت عليه النزعة البصرية ومنهم من أخذ عن الكوفيين فغلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من أخذ عن المدرستين، فاعتمد على المقارنة والترجيح[4]، فأخذوا ما رأوا قوته واضحة لديهم [5]، مما تسبب في اضطراب كتّاب التراجم والطبقات إزاءة، فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين: الكوفية والبصرية مثلما فعل الزبيدي في طبقاته، ومنهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست[6].

وخلاصة القول إنّ المدرسة البغدادية قد اتجهت اتجاهين؛ اتجاها مبكرا عند ابن كيسان (ت299هـ) وابن شقير (ت315هـ) وابن الخياط (320هـ)، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية وأكثروا من الاحتجاج لها مع فتح الأبواب لكثير من آراء المدرسة البصرية، وأيضا مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاها مقابلا عند الزجاجي، ثم عند أبي علي الفارسي وابن جني، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية ، وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد في كل البيئات التي عُنيت بدراسة النحو العربي[7].

---

[1] ينظر سعيد الأفغاني "من تاريخ النحو"، ص:245.

[2] شوقي ضيف "المدارس النحوية"، ص: 245.

[3] ينظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 245.

[4] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي "المفيد في المدارس النحوية" ص123.

[5] ـــ ابراهيم محمد نجا، "المذهب النحوي البغدادي" ، ص:28 .

[6] ينظر: شوقي ضيف "المدارس النحوية"، ص 245

[7] شوقي ضيف، " المرجع نفسه "، ص 248.

2 – 3 – 2 :أعلامها:

لقد قسم أصحاب الطبقات علماء هذه المدرسة إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: وأطلقوا عليها اسم: "أصحاب البصريين"، وتضم النحاة البغداديين؛ الذين غلبت عليهم النزعة البصرية، ومن بينهم نجد الزجاج (ت311هـ) وابن السراج (ت316هـ)،والزجاجي(ت339هـ)،وابن درستويه (ت347هـ) السيرافي (ت368هـ) والفارسي (377هـ) وابن جني[1].

أما المجموعة الثانية : فأطلقوا عليها اسم: أصحاب الكوفيين، وهم الذين غلبت عليهم النزعة الكوفية أمثال ابن الأنباري(ت327هـ) وابن خالويه (ت370هـ)[2]

أما المجموعة الثالثة : فتضم علماء بغداد الذين تحرّروا من قيود العصبية المذهبية، ونجد من بينهم ابن قتيبة (ت267هـ)، وابن كيسان (ت292هـ)، والأخفش الصغير (ت315هـ)[3].

وبما أنني لا أستطيع أن أتحدّث عن جميع نحاة هذه المدرسة، وذلك تفاديا للوقوع في الإطالة التي لا تخدم هذا البحث، رأيت أن أكتفي بالحديث وبإيجاز عن إمامين كبيرين في علم النحو، هما أبو علي الفارسي(ت377هـ)، وتلميذه ابن جني.

ـ **أبو علي الفارسي:** هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسي النحوي، ولد بفارس، وقدم بغداد فاستوطنها، وأخذ من علماء النحو بها، وعلت منزلته في النحو؛ حتى قال قوم من تلاميذته: هو فوق المبرد وأعلم، وصنّف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، [4] ومن بين هذه الكتب نذكر على سبيل المثال: "الحجة للقراء السبعة"، و"كتاب التذكرة"، "كتاب أبيات الإعراب"، كتاب "مختصر عوامل الإعراب"، "والإيضاح في النحو"، وكتاب "المسائل الحلبيات"، كتاب "المسائل البغداديات" [5]، وأشتهر ذكر هذا العالم في الآفاق، وبرع له غلمانٌ حذاق، مثل عثمان بن جني جني وعلي بن عيسى الشيزازي، وغيرهما [6]، وأبو علي الفارسي من النحاة البغداديين الذين أخذوا من

---

[1] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي "المفيد في المدارس النحوية"، ص127،124-139،128.

[2] إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 141، 143.

[3] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي "المفيد في المدارس النحوية"، ص144.

[4] القفطي ،"انباه الرواة على أنباه النحاة"، 308/1.

[5] ينظر: ابن النديم، " الفهرست " ، ص291 ــ292.

[6] القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 308/1 .

المدرستين، حيث كان يأخذ بما يراه أولى في الإتّباع، وإن غلب عليه النزوع إلى المذهب البصري؛ لأنه كان المذهب الذي حرّرت أصوله وفروعه وعلله.[1]

– **عثمان بن جني أبو الفتح النحوي:** من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، [2] صحب أبا علي الفارسي وتبعه في أسفاره، واستملى منه، وأخذ عنه وصنف في زمانه، ووقف أبو علي على تصانيفه واستجادها. استوطن ابن جني دار السلام، ودرس بها العلوم حتى مات[3]، وكانت وفاته ببغداد، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[4].

ومن مؤلفاته البديعة: "كتاب اللمع"، وكتاب "سر الصناعة"، "المنصف في شرح كتاب المانفي في التصريف" ، وكتاب "الخصائص" و"التلقين في النحو"، و"كتاب التعاقب"، وكتاب "الكافي في شرح قوافي الأخفش" ، و"المحتسب في إعراب الشواذ"[5].

وابن جني ــ على رأي شوقي ضيف ــ بغدادي من طراز آخر، طراز أستاذه أبو علي الفارسي والزجاجي، وطرازكان ينزع إلى البصريين، وهو الطراز الذي عمّ وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وكان هو وأستاذه من أهم الأسباب في شيوعه، إذ كانا ينتخبان من المذهبين: البصري والكوفي، مع نزعة شديدة إلى البصريين، ومع فتح الأبواب على مصراعيه ا للاجتهاد ومخالفة البصريين والكوفيين بقدر ما يؤديهما النظر وتسعفهما الحجة[6].

لقد استطاع أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني أن يقدّما للعربية أعمالا لا تزال تحتل مكانتها العالية في الدرس اللغوي، كما أن أعمال ابن جني على وجه الخصوص تمثل تقدما كبيرا جدّا في المنهج وفي الأسلوب وفيما وصل إليه من نتائج؛ بحيث إن كثيرا مما قرّره هذا العالم الكبير منذ ألف عام قد وجد قبولا من أحدث مناهج الدرس اللغوي[7].

---

[1] ينظر شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص 257.

[2] السيوطي، "بغية الوعاة "، 2/ 157.

[3] القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 336/2.

[4] ينظر: السيوطي، "بغية الوعاة" 158/2.

[5] ينظر: القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 336/2 ــ337 ، وينظر: السيوطي، "بغية الوعاة"، 157/2.

[6] شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 268.

7 عبده الراجحي، "دروس في المذاهب النحوية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت– لبنان– ط2– 1988، ص 160.

2 – 3 – 3 : منهجها :

بُني منهج هذه المدرسة ـــ كما سبق ورأينا ـــ على الانتخاب من المدرستين:

البصرية والكوفية، فهو يحمل الخصائص المنهجية للمدرستين [1]، مع اجتهاد ومحاولة دائمة من طرف علمائه لأن يخالفوا ويبدعوا كلما أسعفتهما الحجة؛ لذلك نظروا في آراء الفريقين بدون تعصّب نظرة الباحث المحقق، آزره الدليل وقوّاه السماع ،قبلوه عن طيب خاطر؛ غاضّين النظر عمن سواه، لأنّ مهمتهم الاستحسان والاستجادة على أسس قويمة؛ ليخرج البناء قوى الأركان [2]، وبذلك لم يكن منهجهم جديدا من حيث الأسس أو طرائق الاستنتاج، ولكنه مذهب ينبني على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية[3].

2 – 4 : المدرسة الأندلسية:

2 –4 – 1 : نشأتها :

بحكم تأخّر الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس؛ الذي لم يتم إلاَّ في نهاية القرن الأول الهجري، ثم ما تلا ذلك من أشغال الحكام الفاتحين وسعيهم لتأمين هذا الثغر ضد المتربصين، فإن الدراسات اللغوية وغيرها من فروع الحياة قد تأخرت بدورها عن مثيلاتها في المشرق [4]. فالعرب الفاتحين من عهد موسى بن نصير إلى عهد الخليفة الناصر كانوا ينقلون في البلاد ما عرفوه في الشام من لغة وأشعار ونحوها؛ إذ كان بعضهم من غير شك مثقفين؛ يتناقلون الأشعار وأيام العرب والأخبار في سمرهم، ولكن لم يكن ذلك علما منظما حتى جاء عبد الرحمن الناصر [5]، فطمع أن يُقوِّي مملكته بما قوى به العباسيون دولتهم، وكان من أسباب قوة العباسيين: العلم، والشعر، والأدب [6]، وغير ذلك من العلوم الأخرى مثل: النحو

---

1 ينظر: خديجة الحديثي "المدارس النحوية"، ص: 205، وينظر: ابراهيم محمد نجا "المذهب النحوي البغدادي"، ص 28.

2 ينظر: إبراهيم محمد نجا ،" المذهب النحوي البغدادي "، ص 28.

3 عبده الراجحي "دروس في المذاهب النحوية"، ص 159.

4 – يُنظر: محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 1/ 41.

5 – هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس من الأمويين ويُعرف بعبد الرحمن الثالث، وُلد سنة سنة 277 هـــ، وتوفي سنة 350 هـــ، كانت يده بيضاء على العلم والعلماء.

6 – أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـــ، 2007مـــ، 3/ 64 ،65.

الذي لعب دورا هاما في بناء الفكر الإسلامي؛ لأنه كان من الوسائل الأساسية التي ساعدت على فهم النص القرآني، وقد استقرت مناهجه في المشرق العربي في البصرة والكوفة وبغداد[1].

فأراد الناصر أن يُقلد العباسيين ورأى أن ليس هناك معلمون كبار ينشئون الثقافة العربية بين أهل الأندلس، فقرر أن يندب لذلك بعض أهل المشرق، وبعد تفكير طويل رأى أن أصلحهم أبو علي القالي فاستدعاه إلى قرطبة[2].

وقد كانت طبقة من المعلمين قبل هذه الفترة قد أخذت على عاتقها تدريس اللغة وقواعدها لناشئة الأندلس وكهولها، وكان هؤلاء المعلمون يعلمون أبناء الخاصة كما يعلمون أبناء العامة في المساجد[3] "يلقّنوهم دروسا في مبادئ العربية عن طريق مُدارسة النصوص والأشعار"[4].

وكل هذا الاهتمام باللغة العربية كان لأجل الحفاظ على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته، وبذلك كان أكثرهم من قُرَّاء الذكر الحكيم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقّون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم؛ فيرسموها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية[5].

وكانت دروس هؤلاء المعلمين تتناول ألوانا من العلوم كالفقه والحديث والأخبار والأشعار، أكثر مما تتناول علوم النحو والصرف والبلاغة والعلوم اللسانية بصفةعامة[6]، والسبب في ذلك: "أنه لم يكن عند مؤدّبي العربية ولا عند غيرهم ممن عنوا بالنحو كبير علم ... وذلك أن المؤدبين إنما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها، وتقريب المعاني لهم في ذلك، و لم يأخذوا

---

[1] – يُنظر: عبده الراجحي، "دروس في المذاهب النحوية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ط2 1988، ص: 215.

[2] – أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، 3/ 64 ــ65.

[3] – يُنظر: عبد الكريم بكري، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، إشراف: يوسف وراد، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، جامعة وهران، 1982، ص: 23.

[4] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية، ص: 288.

[5] – شوقي ضيف، "المرجع نفسه "، ص: 288.

[6] – يُنظر: ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص: 51.

أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال بمسائلها ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية ولا يجيئون في شيء منها"[1].

و لم يكن تحصيل هؤلاء المؤدبين (المعلمين) مقصورا على تجوالهم طلبا للعلم في المدن الأندلسية، بل تنقلهم للترحال إمّا إلى القيروان، وهي يومئذ من مراكز العلم المشهورة، وإما إلى المشرق؛ حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين قبل أداء فريضة الحج، وبعد أدائها، ولما أصبح الأندلسي العائد إلى وطنه يُشرف في نظر قومه؛ لأنه غدا يروي عن "الشيوخ" لم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية الدافعة للحج، بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمّل أعباء السفر[2].

وتقابل هذه الرحلة الأندلسية إلى المشرق هجرة بعض المشارقة إلى الأندلس ممّن لهم اهتمام باللغة والنحو[3]، ومن هؤلاء العلماء المشارقة نذكر على سبيل المثال:

2 - 4 - 1 - 1: **أبو علي القالي البغدادي** ؛ الذي ـــ كما سبق وذكرنا ـــ جاء إلى الأندلس بدعوة من حاكمها يومئذ، وهو عبد الرحمن الناصر، وكان أبو علي القالي إماما في اللغة وعلوم الأدب، ونظرا لصيته الذائع في هذه العلوم دعاه الخليفة الناصر أشهر ملوك بني أمية بالأندلس لنشر علومه وآدابه، وفي قرطبة عاصمة الأندلس قام القالي بإملاء تصانيفه الممتعة وكتبه القيّمة؛ التي لم يجاريه في تأليفها أحد، بل أعجز بها من بعده وفاق من تقدَّمه [4]. فأقبل عليه علماء الأندلس وأدباؤها ليستفيدوا من محاضراته في اللغة والأدب[5]، ويُعتبر وجودا أبا علي القالي في الأندلس كسبا ثقافيا لتلك البلاد وذلك المكسب يتجلى في تلك الكتب التي جلبها، وفي الأخبار التي رواها وفي المؤلفات التي كتبها في الأندلس وفي جمهور التلامذة الذين تخرّجوا عليه[6].

وفيما يخص الأندلسيين الراحلين إلى المشرق، فمن الطبيعي أن تكون رغباتهم العلمية

---

[1] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 311.

[2] – ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، ص: 54 ــ55.

[3] – – ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، ص: 58.

[4] – ففي معجم الأدباء لياقوت الحموي (2/ 352)، قال: قال الزبيدي: "ولا نعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله".

[5] – القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، "الأمالي"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مقدّمة الجزء الأوّل

[6] – يُنظر: ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، ص: 204.

متنوعة متباينة، فمنهم من يؤثر رواية الحديث، ومنهم من يطلب الفقه، ومنهم من يلقى شعراء المشارقة، كما أن منهم من يطلب اللغة والنحو، وهذا ما يهمنا التركيز عليه في هذا البحث [1].

ومن أولئك العلماء الراحلين إلى المشرق **جودي بن عثمان**(ت 198هـ)؛ الذي رحل إلى بغداد، وأخذ بها عن الكسائي والفراء[2].

وقد كان علماء اللغة والنحو في المغرب والأندلس تلامذة الطبقة الأولى من أمثال:

جودي النحوي؛ الذي أدرك الكسائي والفراء، و**الغازي بن قيس** (ت 199 هـ)؛ الذي أدرك الكسائي ونظراءه[3].وتُجمع المصادر على أنّ الأندلسيين عرفوا نحو الكوفة قبل أن يعرفوا نحو البصرة، وذلك راجع لكون كتاب الكسائي قد وصل إلى الأندلس قبل كتاب سيبويه، ويُقال إنّ جودي كان أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس[4]، وأنّ الأفشنيق محمد بن موسى بن هشام (ت 307 هـ) هو أول من أدخل أدخل كتاب سيبويه وأقرأه لطلابه بقرطبة[5].و بالرّغم من اختلاف الدارسين حول أي الكتابين دخل الأندلس أوّلا ، فإنني ارتأيت أن أبدأ الحديث عن كتاب سيبويه لأنّه المعتمد الأوّل في الدراسات النحويّة .

2 - 4- 1- 2: **كتاب سيبويه في الأندلس**: حتى و إن تأخر دخول كتاب سيبويه إلى الأندلس مقارنة بكتاب الكسائي، فالمهم في الأمر هو أنّ أهل الأندلس قد عنوا به عناية فائقة، واغترفوا من معينه، وبالتالي كان لهذا الكتاب أثر كبير في النحو الأندلسي، ولا أدل على ذلك من هذا الاهتمام الفائق بالكتاب، فقد اشتُهر جماعة من النحويين بحفظه، "فمن أقدم من وقفنا عليه ممن حفظوا كتاب سيبويه هو حمدون النحوي المتوفى بعد المائتين، وفي القرن الثالث كان من أشهر حفاظه الأفشين القرطبي (ت 309 هـ)، وقد أخذه في مصر عن أبي جعفر رواية[6].

---

[1] – يُنظر: ألبير حبيب مطلق،: ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف "، ص: 55.

[2] – محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 1/ 43.

[3] – يُنظر: الزبيدي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص: 256.

[4] – السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 405/1.

[5] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 289.

[6] – الرافعي، مصطفى صادق: "تاريخ آداب العرب"، 3/ 243.

ولمنزلة كتاب سيبويه في نفوسهم، قرّر الأندلسيو ن أنّ من لم يقرأ هذا الكتاب فهو لا يعرف شيئا "وعابوا على أحمد بن عبد النور النحوي (ت 702 هـــ) أنه لا يقرأ الكتاب"[1].

وكيف لا يهتم الأندلسيون بهذا الكتاب؛ الذي سماه القدماء: قرآن النحو[2]، فهذا الكتاب لقي منذ ظهوره حظا سعيدا لدى العلماء، وقديما قالوا: أن الكتب تشقى وتسعد، كما الإنسان يشقى ويسعد، ولكن تلك السعادة في الحظ كانت عن أصالة في البنيان ومتانة في التكوين[3].

فقد استطاع سيبويه أن يوفّق في تسجيل أصول النحو وقواعده تسجيلا تاما في كتابه، كما أنه لم يكد يترك ظاهرة من ظواهر التعبير العربي إلا وأتقنها فقها وعلما وتحليلا[4]، وبذلك أصبح الكتاب الكتاب المصدر الأول للنحو العربي[5]، وذلك منذ تاريخ تأليفه إلى يومنا هذا، فكل ما فعله النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه هو شرح غامض أو اختصار مطول أو بسط معضل، أما الأسس التي بنى عليها الكتاب فبقيت كما هي في النحو و الصرف إلى اليوم[6].

ولأهمية هذا الكتاب العظيم اهتم به العلماء بعد سيبويه، فدرسوه وشرحوه ومن بين هؤلاء العلماء نجد علماء الأندلس؛ الذين لم يُدّخروا جهدا لدراسة هذا الكتاب وشرحه لطلاب العلم من مختلف الأعمار والفئات.

2 - 4 - 1 - 3: كتاب الكسائي في الأندلس:

لقد اتّفق أهل التراجم على أنّ كتاب الكسائي سبق إلى البيئة الأندلسية غيره من المؤلفات النحوية[7]، وبالتالي فالنحو في الأندلس قد بدأ كوفي النزعة؛ بسبب اشتهار كتاب الكسائي فيها أولا، واهتمام أهلها به، وبقي الحال كذلك حتى أواخر القرن الثالث هجري عندما جاء الأفشنيق إليها؛ الذي ـــ كما سبق ورأينا ـــ ارتحل إلى المشرق ودرس كتاب سيبويه في مصر، وحمله معه إلى الأندلس،

---

[1] – ينظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 273/1.

[2] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 73.

[3] – عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1/ 37.(مقدمة المحقق).

[4] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 6.

[5] – شرف الدين الراجحي، "في علم اللغة عند العرب ورُؤى علم اللغة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 88.

[6] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، ص: 85.

[7] – محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 8.

ونشره فيها، فتأثر النحو الأندلسي تأثرا بالغا بالنحو البصري؛ لدرجة أنه طغى على النحو الكوفي الذي سبق ظهوره هناك[1].

كما أنّ هناك إشارات متناثرة في بحوث المتتبّعين للدرس النحوي بالأندلس تتظافر لتأكيد أن النحو الكوفي لم يكن أسبق إلى الأندلس من نظيره البصري فحسب، بل إن تأثيره تواصل وامتدّ حتى بعد أن عرف المذهب البصري واشتهر بالأندلس، ومن هذه الإشارات: ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الفكر الأندلسي في قوله: "كانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم، تفسير الجرفي لكتاب الكسائي"[2].

وكما سبق وذكرنا في هذا المبحث، فأوّل نحوي أندلسي عمل على إدخال كتاب الكسائي إلى بلاد الأندلس هو جودي بن عثمان الذي رحل إلى بغداد، وأخذ بها عن الكسائي والفراء وغيرها، وحمل معه كتاب الكسائي إلى الأندلس، وظل يدرّس بعد رجوعه وأخذ عنه جماعة، وألف كتابا في النحو[3].

إن المتتبع للدرس النحوي في الأندلس ليجد أن المذهب الكوفي النحوي لم يُبعَد في أي فترة من الفترات من ساحة التأثير في الحياة النحوية واللغوية بالأندلس، مع الإقرار بأن هذا التأثير يبرز حينا حتى لكأنه هو المؤثر الأبرز، ويخبو أحيانا حتى يكاد يختفي، مما يغري بعض الدارسين بالحكم بزوال هذا التأثير، ولكن سرعان ما يظهر من العلماء الأندلسيين من يكذّب هذا الزعم[4].

وأولى بوادر التأثّر بالمذهب الكوفي ظهرت مع جودي بن عثمان، ثم تواصلت بعده متمثلة في صور عدة لعل أكثرها جلاء تعاقب بعض النحويين الأندلسيين على شرح كتاب الكسائي، فبالإضافة إلى جودي بن عثمان، نجد نحويين أندلسيين آخرين قاموا بشرح كتاب الكسائي مثل: مفرّج بن مالك

---

[1] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري"، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1993، ص: 40 .

[2] – آنخل جانثلاث بالانثيا، "تاريخ الفكر الأندلسي"، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1427هـ، 2006م.

[3] – اسم الكتاب الذي ألفه جودي بن عثمان "منبه الحجارة"،وليس يُعرف على وجه التحديد اسم كتاب الكسائي، ينظر: الزبيدي ،"طبقات النحويين واللغويين"، ص: 256 والسيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 405، و ينظر:محمد بن عمار درين، " تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 43.

[4] – محمد بن عمار درين، " المصدر نفسه "، ص: 56 ــ57.

النحوي أبو الحسن المعروف بالبغل؛ والذي ألّف كتابا شرحه فيه [1]، وعبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم المكفوف الملقب بدَرْوَد (ت 325 هـــ)؛ الذي له شرح على كتاب الكسائي في ستة أجزاء سُمع عليه[2]، وشرحه أيضا أحمد بن أبان بن سيد: وهو أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد اللغوي الأندلسي (ت 382 هـــ)، الملقب بصاحب الشرطة تشريفا وتكريما لعلمه ومنزلته[3]. وقد صاحب القالي[4] وروى عنه سائر كتبه ومصنفاته.

وكخلاصة لما يمكن قوله عن تأثر نحاة الأندلس بالمدارس النحوية السالفة الذكر نقول: إن كتاب سيبويه و إن لم يشتهر في الأندلس أوّل الأمر، وبقي كذلك إلى أن رحل الأفشنيق إلى المشرق وعاد إلى وطنه الأندلس حافظا لهذا الكتاب، فأظهره هناك، اشتُهر منذ ذلك الحين، فإن هذا المؤلف العظيم كما أثبتت بعض المصادر كان قد وجد في الأندلس مع وجود كتاب الكسائي، إن لم يكن قبله.

إن للنحو البصري الأثر الكبير على نحاة الأندلس على مر العصور. ومثله النحو الكوفي؛ الذي اشتهر هناك قبل النحو البصري، واختفى نسبيا بعد ظهور واشتهار النحو البصري، إذ لم يندثر كل الاندثار هناك، بل بقي له أثر على مر العصور حتى في القرن السابع هجري. ومن هنا فإن النحو في الأندلس كان هلال القرنين الثالث والرابع للهجرة نحوا بصريا كوفيا، و لم يخلُص لأحدهما دون الآخر.

اعتنى نحاة الأندلس عناية كبيرة بكتاب سيبويه الممثل للنحو البصري منذ ظهوره واشتهاره هناك، وعلى مدى العصور التالية لذلك[5].

وكما عرف الأندلسيون النحو الكوفي ممثلا في كتاب الكسائي، والنحو البصري ممثلا في كتاب سيبويه عرفوا النحو البغدادي ممثلا في أبي علي القالي [6]؛ الذي كما سبق وذكرنا تخرج علي يديه الكثير من أبناء الأندلس، فأبو علي القالي كان متضلّعا في علوم اللغة؛ حيث نشأ في بغداد وتعلم على

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 273، والفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 183، و"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 296/2.

[2] – يُنظر: الزبيدي، "المصدر نفسه"، ص: 298، والسيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 85/2.

[3] – يُنظر السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 240.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 85 ــ86 ــ87 ــ88.

[5] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 41.

[6] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 164.

شيوخها، وأخذ النحو عن ابن درستويه والزجاج أحد تلامذة المبرد، والأخفش الصغير، وابن السراج وابن الأنباري، أقام القالي في بغداد خمسا وعشرين سنة يحصّل مع الجد حتى أتقن هذه العلوم، ولذلك وقع اختيار عبد الرحمن الناصر على هذا العالم الجليل؛ الذي استدعاه إلى قرطبة ليقوي بها دولته التي أراد أن ينافس بها دولة المشرق[1].

2 – 4 – 2 : أعلامها:

أكيد أنّني لن أستطيع في هذا المبحث الصغير أن أتكلم عن كل أعلام النحو الأندلسيين الذين خدموا اللغة العربية، فعلّموها لسكان الأندلس، وحاولوا تبسيط مسائلها وقواعدها حتى تسهُل عند طلابها ليتمكنوا منها ومن خباياها.لذلك سأكتفي بذكر نماذج من هؤلاء النحاة؛ الذين تركوا بصماتهم في تاريخ النحو العربي الأندلسي.

– **جودي بن عثمان النحوي:** وهو من أعلام النحو الأوائل الذين خدموا اللغة العربية بعد ظهورها بالأندلس، قال عنه السيوطي: جودي بن عثمان العبسى المورورى الطليطلي الأصل،وقال عنه صاحب تاريخ غرناطة "كان نحويّا عارفا، درس العربية، وأدب بها أولاد الخلفاء، وظهر على من تقدمه"[2].

أمّا الزبيدي فقال عنه: "رحل جودي بن عثمان إلى المشرق، وأخذ عن الرياشي والفراء والكسائي، وهو أول من أدخل كتابه إلى الأندلس، وولّي القضاء في إلبيرة، وصنّف كتابا في النحو اسمه: "منه الحجارة".[3]

وقيل عنه بأنه أول مؤدّب أدّب أولاد الأمراء بالأندلس، سكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، وقد توفي سنة ثمان وتسعين ومائة.[4]

–**عبد الله بن حرشن:** مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكره الزبيدي ضمن الطبقة

---

[1] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، 64/3.

[2] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 405/4، ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 58.

[3] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 256، و السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 405، والقفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 306.

[4] ــ القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 306.

الثانية من نحاة الأندلس، وقال عنه: كان عالما باللغة العربية وأخذ عن جودي بن عثمان النحوي.[1]

عُرف بفصاحته حتى أنّ الناس إذا استفصحوا رجلا قالوا: ما هذا إلا أبو حرشن[2]

– **عبد الله بن سوار بن طارق القرطبي** : كان من أهل العلم باللغة، متفنّنا في علم الأدب، وله رحلة إلى المشرق، سمع فيها من الحسن بن عرفة، ولقي أبا حاتم والرياشي وغيرهما، روى عنه محمد بن جنادة الاشبيلي، ومات سنة خمس وسبعين ومائتين[3].

– **عبد الملك القرطبي المالكي، بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مرداس السلمي أبو مروان الإلبيري:**[4] ذكره الزبيدي في الطبقة الثانية من نحاة الأندلس، فقال: جمع عبد الملك إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغة والتصرف في فنون الأدب، وله أوضاع جمّة في أكثر الفنون. منها كتابه في إعراب القرآن، وفي شرح الحديث، إلى غير ذلك من دواوين الفقه والحديث والأخبار، ورُوي عن سحنون بن سعيد أنه قيل له: مات عبد الملك بن حبيب الأندلسي، فقال: مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا، وقال عنه محمد بن عمر بن لبابة: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحي بن يحيى[5] .

أمّا ابن القرطبي فيقول عن هذا النحوي بأنّه بالإضافة إلى كونه نحويّا، فهو أيضا عروضيّ وشاعر، حافظ للأخبار والأنساب والأشعار، متصرّف في فنون العلم، حافظ للفقه، و لم يكن له علم بالحديث، ولا يعرف صحيحه من سقيمه، توفي سنة ثمان وقيل تسع وثلاثين ومائتين[6].

– **الأفشين[7] القرطبي، محمد بن موسى بن هاشم بن زيد النحوي أبو عبد الله، مولى المنذر[8]**: كان متصرّفا في علم الأدب والخبر، رحل إلى المشرق ولقي بمصر أبا جعفر الدينوري، وأخذ

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 259، والسيوطي، "بغية الوعاة"، 2/ 101، ويُنظر: محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 44.

2 ــ يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 259

[3] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة"، 2/ 85، ويُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 260.

[4] – السيوطي، " بغية الوعاة "، 2/ 138.

[5] - هو يحيى بن يحيى بن كثير أبو محمد الليثي، رحل إلى المشرق، فسمع مالك بن أنس، وكان يسميه عاقل الأندلس، يُنظر ترجمته في "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر "للحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ،تقديم: صلاح الدين الهواري ،المكتبةالعصرية ،صيدا – بيروت ،ط1 ،2004/1425، ص: 361.

[6] – السيوطي، "بغية الوعاة"، 139/2.

[7] – في طبقات النحويين واللغويين، الأقشتيق وفي البغية الأفشين.

[8] – وهو المنذر بن محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس، ولي الملك بعد أبيه سنة 273 هـــ، وتوفي سنة 275 هـــ، يُنظر: نفح الطيب، 1/ 300.

عنه كتاب سيبويه رواية[1]، وأخذه عن المازني، وروى كتب ابن قتيبة عن إبراهيم بن جميل [2] الأندلسي، أخذها عنه بمصر، وله كتب مؤلفة في الأدب، منها: "شواهد الحِكم"، وكتاب "طبقات الكتاب". توفي سنة سبع وثلاثمائة[3].

- **دَرْوَد ،عبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم الأندلسي القرطبي النحوي** :

قال السلفي: معروف بالنحو والأدب، وكان أعمى، شرح كتاب الكسائي، أما صاحب المُغرب فيقول عن دَرْوَد إنّه كان من أهل النحو والشعر والتأليف[4].

وكان له حظ جزيل من العربية، وكان يقرض الشعر، ويمدح الملوك، وله في ذلك قصائد حسان، واستأدبه أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضي الله عنه لولده، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[5]. وثلاثمائة[5].

– **الرباحي، محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي أبو عبد الله المعروف** ، أصله من جيان، كان حاذقا بعلم العربية، دقيق النظر فيها، لطيف المسلك في معانيها، غاية في الإبداع والاستنباط، وكان قد طالع كتب أهل الكلام، وتفنّن فيها ونظر في المنطقيات

فأحكمها، إلاَّ أنه لا يتقلّد مذهبا من مذاهب المتكلمين، ولا يعول أصلا من أصولهم،

كما كان قليل المعاناة لدراسة الكتب ومطالعة المسائل، إنما دأبه الغوص على دقيقة يستخرجها ولطيفة يثيرها، وقياس يمدّه، وأصل يفرعه[6].

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 281–282. والسيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 209.

[2] – هو إبراهيم بن موسى بن جميل، مولى بني أمية، أصله من تدمير، ورحل إلى المشرق، ودخل مكة وبغداد، وسكن مصر إلى أن توفي بها سنة 300 ه، ينظر "الحميدي "جذوة المقتبس"،ص155ــ156

[3] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 281–282. و ذكر السيوطي أن الأفشين توفي سنة تسع وثلاثمائة، السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 209.

[4] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 85/2.

[5] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 298، ويُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، 85/2.

[6] – ينظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 310، والسيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 216. ويُنظر: القفطي، "اِنباه الرواة"، 229/3 ــ230.

رحل إلى المشرق فلقي أبا جعفر بن النحاس، فحمل عنه "كتاب سيبويه" رواية. وقرئ عليه كتاب "سيبويه" و لم يكن عند الناس علم من العربية، و لم يكن له تدقيق نظر ولا استنباط؛ فلمّا ورد محمد بن يحيى أخذ في التدقيق والاستنباط والاعتراض والجواب، وطرد الفروع إلى الأصول؛ فاستفاد منه المعلمون طريقة، واعتمدوا ما سنّه من ذلك[1]. قام بتأديب أبناء الملوك في الأندلس من بني أمية، ثم ولي أمر الديوان والاستيفاء، فلم يزل على ذلك إلى أن مات في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[2].

– أبو بكر الزبيدي النحوي، محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر: صاحب طبقات النحويين، كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، تتلمذ لأبي علي القالي والرباحي[3].

أمّا موطنه فهو إشبيلية التي تلقى فيها العلوم عن شيوخه، ثم ترامت بعد ذلك شهرته لتصل إلى قرطبة، فبلغ صيتة الحكم المستنصر الذي استدعاه لتأديب ابنه[4].

وولي الزبيدي قضاء قرطبة، كما قام بتصنيف عدة مصنفات، من بينها: "مختصر العين" و"أبنية سيبويه" و"الموضّح" و"ما يلحن فيه عوام الأندلس" و"طبقات النحويين"، وله كتاب الرد على ابن مسرة وأهل مقالته، سمّاه:" هتك ستور الملحدين"[5]

أما صاحب الإنباه فصنّف الزبيدي ضمن أئمة اللغة والعربية [6]، وهو بحقّ لم يخطئ في تصنيفه هذا. توفي الزبيدي قريبا من الثمانين والثلاثمائة[7].

---

[1] – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 230.

[2] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 314، ويُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 230.

[3] – يُنظر: ياقوت الحموي "معجم الأدباء" 18/ 179، وينظر:محمد بن عمار درين "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 2/ 47.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 3.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 1/ 73، والثعالبي أبو منصور عبد الملك النيسابوري(ت429)"يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط 1 ،1420 2هـ /2000/،81/2. و ينظر:ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، 18/180ــ181 .

[6] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 108/3.

[7] – يُنظر: " المصدر نفسه "، 109/3.

– مكي بن أبي طالب القيسي النحوي المقرئ، حمّوش بن محمد بن مختار: صاحب الإعراب، وُلد في شعبان سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة وأصله من القيروان، سكن قرطبة وسمع بمكة ومصر من أبي الطيّب عبد المنعم بن غليون، وقرأ عليه القرآن، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربيّة، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف، مجوّدا للقرآن. [1]

أقرأ بجامع قرطبة، وخطب به وانتفع به جمع، وعظم اسمه، كما اشتهر هذا الرجل بإجابة الدعوة[2].توفي مكّي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، ودفن بالربض [3]، تاركا وراءه عدّة مؤلفات، من بينها: "إعراب القرآن" و"الموجز في القراءات"، و"التبصرة فيها"، و"الهداية في التفسير"، و"الوقف على كلا"، وأشياء كثيرة في القراءات على حدّ قول السيوطي[4].

– الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي :[5] من أهل شنتمرية الغرب، يكنّى أبا الحجاج، رحل إلى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، أقام بها مدة، وأخذ عن ابن الافليلي [6] وطبقته[7].

كان عالما باللغة والعربية ومعاني الأشعار، وحافظا لها، حسن الضبط لها، مشهورا بإتقانها، رحل إلى قرطبة وأخذ عن إبراهيم الإفليلي، وصارت إليه الرحلة في زمانه [8]، صنّف الأعلم عدة مصنفات، من بينها: شرح الجمل[9]، وعاون ابن الإفليلي في "شرح ديوان المتنبي"، و"شرح أبيات الجمل" الجمل" شرحا مفردا. [10]

---

1 ــ ينظر: السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 298/2 ــ299، و ينظر : القفطي ، " إنباه الرواة على أنباه النحاة"،313/3 ، و ينطر:الحميدي،"جذوة المقتبس"،ص321 ــ322 .

2 – ينظر: السيوطي،"بغية الوعاة"، 298/2 ــ299، و ينظر : القفطي ، " إنباه الرواة على أنباه النحاة"،313/3

3 – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباء النحاة"، 3/ 315.

4 – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 299/2.

5 – الزركلي، "الأعلام"،8/ 233،وياقوت الحموي"معجم الأدباء"60/20.

6 – هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري النحوي الأندلسي المعروف بابن الأفليلي، كان عالما بالنحو وهو من أهل قرطبة (ت 441 هـــ) ، يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 218-219.

7 – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 65.

8 – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 349.

9 – هو كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي، ذكره ياقوت وابن خلكان وصاحب كشف الطنون.

10 – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 66-67، ويُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 349/2.

كُف بصر الأعلم الشنتمري في آخر عمره، وتوفي بالأندلس سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة اشبيلية.[1]

- **ابن سيده الأندلسي، علي بن أحمد وقيل ابن إسماعيل أبو الحسن النحوي اللغوي:** كان إماما في اللغة والعربية، جمع في اللغة كتاب "المحكم"، يُقارب عشرين مجلدا، لم يُر مثله في فنه، ولا يعرف قدره إلاَّ من وقف عليه.

كان ابن سيده نادرة وقته[2]؛ حيث لم يعرف في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها، روى عن أبيه وصاعد بن الحسن البغدادي[3].

وبالإضافة إلى كتابه "المحكم" نجد مؤلفات أخرى لا تقل أهميته عن المحكم، نحو: "المخصص" و"كتاب الأنيق في شرح الحماسة"و" كتاب شرح إصلاح المنطق على الأجناس في غاية الإيعاب"، و كتاب العالم و المتعلم على المسألة و الجواب"، و متاب الوافي في علم أحكام القوافي"، وغير ذلك[4].

كان ابن سيده الأندلسي أعمى بن أعمى، وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، أو سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقد بلغ ستين سنة أو نحوها[5].

- **ابن الطراوة، سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي أو أبو الحسين**[6]: المدعوّ بالشيخ الأستاذ، عاش نيفا وتسعين سنة، له مصنفات في النحو مشهورة مذكورة، وكلامه عند الأندلسيين مطلوب مرغوب فيه، يتنافس الطلبة في نقله وجمعه، ولا يُلقَّب أحد ببلد الأندلس بالأستاذ إلاَّ النحوي الأديب، وله شعر كرقة النسيم[7].

وكان ابن الطراوة تلميذا للأعلم الشنتمري؛ الذي سمع عليه كتاب سيبويه وعلى عبد الملك بن سراج، وروى عن أبي الوليد الباجي وغيره، وعنه السهيلي والقاضي عياض وخلائق، وله آراء في النحو تفرّد بها، وخالف فيها جمهور النحاة[8].

---

[1] - يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 66-67، ويُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2 / 349.

[2] - يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"،225/2.

[3] - السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 167، وينظر ياقوت الحموي "معجم الأدباء"،232/12.

[4] - القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 226 ، وينظر ياقوت الحموي "معجم الأدباء"،232/12.

[5] - يُنظر: معجم الأدباء،232/12 ، وينظر: القفطي،"إنباه الرواة على أنباه النحاة" 227/2.

[6] - السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 2/ 44.

[7] - القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 113.

[8] - السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 2/ 44، وينظر: الفيروزآبادي،"البلغة في تاريخ أئمة اللغة"،ص85.

ومن بين المصنّفات التي صنّفها ابن الطراوة في النحو: "المقدمات على كتاب سيبويه"، ويبدو أنّه كان يقابله كثيرا على كتب الكوفيين والبغداديين، منحازا إليهما، أو بعبارة أدق متوسّعا في الاختيار من آرائهما، وممّا اختاره من مذهب الكوفيين أنّ المعرفة أصل والنكرة فرع، وكان سيبويه والجمهور يذهبون إلى العكس.كما ألّف أيضا "الترشيح في النحو" وهو مختصر ومقالة في الاسم والمسمى و"الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح"، و"ردّ الشارد إلى عُقال الناشد"، و"رسالة في منع استثناء الكثير من القليل"[1].وباختصار فإن ابن الطراوة كان بارزا في علوم اللسان من نحو ولغة وأدب.توفي ابن الطراوة في رمضان أو شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة [2]

-**أبو القاسم السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش بن سعدون بن رضوان بن فتوح الإمام أبو زيد الخثعمي الأندلسي المالقي الحافظ**[3]: فاضل كبير القدر في علم العربية، العربية، كثير الاطلاع على هذا الشأن[4]، بارع في اللغة والقراءات، يجمع بين الرواية والدراية، بالإضافة إلى كونه من النحويين المتقدمين في الأندلس، أديب وعالم بالتفسير وصناعة الحديث، حافظ للرجال والأنساب، عارفٌ بعلم الكلام والأصول، حافظ للتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، تميز بنباهته وذكائه واختراعاته واستنباطاته، تصدّر للإقراء والتدريس فذاع صيته. [5]

روى عن ابن العربي وأبي طاهر وابن الطراوة، وعنه الرندي وابنا حوط الله وأبو الحسن الغافقي. وتوفي السهيلي ليلة الخميس عشر شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة [6] تاركا وراءه تصانيف جليلة، من بينها: "الروض الأُنف"، و"كتاب التعريف والأعلام بما أُبهم في القرآن من الأعلام"، و"كتاب شرح آيات الوصية"، و"كتاب نتائج الفكر" وله على الجمل شرح لم يتم[7].

---

[1] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغوين و النحاة"، 2/ 45، وينظر:السيوطي جلال الدين "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، 1/ 189، و ينظر: شوقي ضيف، "المدارس النحويّة"، ص296، وينظر : محمد ين عمار درين،"تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 49/1.

[2] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 45/2.

[3] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 115.

[4] – القفطي،"إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 163.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 115.

[6] – ينظر السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 115.

[7] – يُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 106.

ـــ ابن مضاء القرطبي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم اللخمي قاضي الجماعة أبو العباس وأبو جعفر الجياني : قال عنه ابن الزبير: أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء، أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه، وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النحوية واللغوية والأدبية ما لا يحصى، وكان له تقدّم في علم العربية واعتنا ء وآراء فيها، ومذاهب مخالفة لأهلها.

روى عنه عبد الحق بن عطية، والقاضي عياض وخلائق، وعنه ابنا حوط الله وأبو الحسن الغافقي[1]، وولى قضاء فاس وغيرها[2]، فأحسن السيرة، وعدل؛ فعظم قدره وصار رحلة في الرواية، وعمدة في الدراية. وقال ابن عبد الملك: كان مقرئا مجودا، محدثا مكثرا، قديم السماع، واسع الرواية عارفا بالأصول والكلام والطب والحساب والهندسة، ثاقب الذهن متوقد الذكاء، شاكرا بارعا، كاتبا. [3]

3

كان مولد ابن مضاء سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بقرطبة، أما وفاته فكانت باشبيلية في السابع عشر من جمادى الأولى، وقيل ثاني عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين. [4]

صنف هذا النحوي الأندلسي "المشرق في النحو"، "الرد على النحاة"، "تتريه القرآن عما لا يليق بالبيان"، وناقضه في هذا التأليف ابن خروف بكتاب سماه:" تتريه أئمة النحو عما نُسب إليهم من الخطأ والسهو"، ولما بلغه ذلك قال: نحن لا نبالي بالكباش النطاحة، وتعارضنا أبناء الخرفان. [5]

ومن يعود إلى كتاب "الرد على النحاة" يُلاحظ أن صاحب هذا الكتاب ثائر على المشرق، وهي ثورة تعتبر امتدادا لثورة أميره[6] عليه، وأيضا فإنه سيلاحظ نزعة ظاهرية في ثنايا الكتاب، مما يؤكد يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب[1].

---

[1] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 266.

[2] – يُنظر: عبد الواحد المراكشي، "المعجب"، ص: 207.

[3] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 1/ 266.

[4] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 266-267، ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 40-41.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبات اللغويين و النحاة"، 1/ 266-267.

[6] – هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن من أمراء الموحدين في الأندلس، دام حكمه من سنة 558 حتى سنة 580 هـ.

– ابن خروف الأندلسي النحوي، علي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين، أبو الحسن: حضر من اشبيلية، وكان إماما في النحو واللغة، ومحقّقا مدقّقا ماهرا مشاركا في الأصول، أخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالخَدْبِ.أقرأ النحو بعدّة بلاد، وأقام بحلب مدة ، وله مناظرات مع السهيلي[2].

ويُقال بأنه قد صنف كُتبا في اللغة والنحو والأصول، منها: شرح كتاب سيبويه وسماه:" تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، و"شرح كتاب الجمل" لأبي القاسم الزجاجي، وصنّف كتابا في الفرائض، وله ردود في العربية على أبي زيد السهيلي وابن ملكون وابن مضاء[3].

أما بالنسبة لتاريخ وفاته فقد اختلفت حوله الروايات[4]. فقال السيوطي قد وقع في جب ليلا، فمات سنة تسع وستمائة، وقيل خمس وقيل عشر، وقال ياقوت سنة ست باشبيلية عن خمس وثمانين سنة[5].

– ابن عصفور الاشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد بن علي، أبو الحسن النحوي الحضرمي: حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، قال عنه ابن الزبير: أخذ عن الدباج والشلوبين،وتصدر للاشتغال مدّة بعدة بلاد، وجال بالأندلس، وأقبل عليه الطلبة، وكان أصبر الناس على المطالعة، لا يمل من ذلك، و لم يكن عنده ما يُؤخذه عنه غير النحو[6].

---

[1] – ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، تحقيق:شوقي ضيف،دار المعارف،ط3،مصر،ص19 .

[2] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/216–217، و ينظر: ياقوت الحموي. ،"معجم الأدباء"،15/75ــ76

[3] – يُنظر: الزركلي، "الأعلام"، 5/330، ، ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 128–129. ويُنظر: محمد خليفة الدناع، "المختار من شرحي ابن خروف والصفار لكتاب سيبويه"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص: 137

[4] – ذكر يقاوت الحموي أنه توفي سنة 606 هـــ ،"معجم الأدباء"،15/.76

[5] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 217.

[6] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/222.

لابن عصفور تصانيف حسنة، منها: "المقرّب في النحو"، و"الممتع في التصريف"، و"المفتاح" و"الهلالية" و"الأزهار" و"إنارة الدُّجى" و"مختصر العِزّة"، و"مختصر المحتسب"، وثلاثة شروح على الجمل، "مفاخرة السالف والعَذار". ومما لم يكمله "شرح المقرب"، و"شرح الإيضاح"، و"شرح الحماسة"، و"شرح الستة الجاهلية" و"شرح المتنبي"، و"سرقات الشعراء" و"البديع"، و"شرح الجزولية"[1].

ذكر السيوطي أن ابن عصفور توفي في رابع عشرة ذي القعدة سنة ثلاث وقيل تسع وستين وستمائة، ومولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة[2].

– ابن مالك الطائي الأندلسي، جمال الدين محمّد بن عبد الله بن عبد الله الجياني أبو عبد الله: من مواليد سنة ستمائة للهجرة بجيان، أقام فترة بالأندلس، تلقّى فيها العلوم على عدد من الأساتذة[3]، منهم: ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي الغرناطي [4]، يقول أبو حيان: بحثت عن عن شيوخ ابن مالك فلم أجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه، ويرجع في حل المشكلات إليه، إلا أنّ بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان بجيان، وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما[5].

أما تصانيفه، فقال عنها السيوطي: فرأيت في تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنّ بعضهم نظمها في أبيات، قال الشيخ تاج الدين: وقد أهمل أشياء أخَر من مؤلفاته فذيّلت عليها. وها أنا أورد نظمها مبينا.

سقى الله رب العرش قبر ابن مالك ... سحـــائب غفران تغاديه هـــطـــلا
فقد ضم شمل النحو من بعد شته ... وبـــيّن أقـــوال النحاة وفـــصّـــلا
بألفية تسمى الخلاصة قد حـــوت ... خلاصة علم النحو والصرف مكملا

---

[1] – الفيروزآبادي، " البلغة في تاريخ أئمة اللغة "، ص: 131.

[2] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، ، 2/ 222.

[3] – محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 52.

[4] ـــ أبو الحسن ثابت بن محمد بن يوسف بن حيان الكلاعي الغرناطي، كان نحويا فاضلا مقرئا ماهرا، معروفا بالزهد والفضل والجودة والانقباض، أخذ عنه ابن مالك، يُنظر: السيوطي، "البغية في تاريخ أئمة اللغة"، 1/ 397.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 1/ 109، ويُنظر: أحمد محمد المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، 2/ 222– 333.

وكافية مشروحة أصبحت تفي لعمري بالعلمين فيها تسهلا
ومختصرٌ سماه عمدة لاقط يضمّ أصول النحو لا غير مجملا
وبين معناه شرح منقح أفاد به ما كان لولاه مهملا
وآخر سماه بإكمال عمدة فزاد عليها في البحوث وعلّلا
وصنف للإكمال شرحا مبينا معانيه حتى غذت ربة أنجلا
ولا سيما التسهيل لو تمّ شرحه لكان كبحر ماج عذبا وسلسلا
ونظم في الأفعال أيضا قصيدة فسهل منها كل وعر وذلّلا
وأرجوزة تحوي المثلث بينا مربعة المصراع عزاء تجتلى
وصنف في المقصور أيضا قصيدة وضمنها الممدود أيضا فكمّلا
واتبعها شرحا لها متضمنا بيان معانيها بها متكفلا
وأعرب توضيحا أحاديث ضمنت صحيح البخاري الإمام وسهلا[1]

ولابن مالك مؤلّفات أخرى في الاطّلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب. توفي ابن مالك ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة[2].

- **أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين النفزي**، نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر،كان أبو حيان نحوي عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه، ومقرأه ومؤرخه وأديبه، وُلد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي وأبي جعفر بن الزبير وابن أبي الأحوص وابن الصائغ وأبي جعفر اللبلي، وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة[3].

كانت لأبي حيان مكانة مرموقة في علوم العربية وعلوم أخرى، وذلك راجع لمكوّناته لذاتية واستعداده الفطري، ثم لدأبه ومواظبته وحرصه على التلقي ولقاء الشيوخ والأئمة، حتى بلغ عدد

[1] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 109 – 110.
[2] – السيوطي، "المصدر نفسه "، 1/ 112.
[3] –السيوطي، " المصدر نفسه "، 1/ 231.

شيوخه نحو: أربعمائة وخمسين شيخا، ولأنه قضى عمره كله (90 عاما) من 645 هـ - 745 هـ في التعلّم والتعليم، والاطّلاع والكتابة[1]. تنقّل أبو حيان في بلاد عدة في الشام والسودان والحجاز،

وعُهد إليه بتدريس النحو في جامع الحاكم بالقاهرة سنة 704 هـ، كما عُهد إليه بتدريس التفسير في قبة السلطان المنصور سنة 710 هـ، وتولى منصب الإقراء بجامع الأقمر الفاطمي، وكان يقول خير الكتب النحوية المتقدمة كتاب سيبويه، وأحسن ما وضع المتأخرون كتاب التسهيل لابن مالك، وكتاب الممتع في التصريف لابن عصفور[2]. وقد ترك أبو حيّان ثروة علمية واسعة ومؤلفات جليلة في علوم العربية وغيرها، ومن أشهرها وأوسعها: تفسيره الجليل "البحر المحيط" وشرح التسهيل واعتنى به، وألّف عليهثلاثة كتب، هي: "التخييل الملخّص من التسهيل" و " التكميل لكتاب التسهيل" و"التذييل والتكميل في شرح التسهيل" و"ارتشاف الضرب من لسان العرب" في النحو، ومؤلّفاته في النحو مهمّة جدّا في تحديد ملامح تفكيره النحوي ومنهجه[3].

كانت وفاة أبي حيان في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة[4].

2 – 4 – 3 : منهجها وخصائصها:

2 – 4 – 3 –1: اتجاههم إلى تيسير النحو:

اكتمل تأليف النحو العربي على يد **سيبويه** الذي لم تفته فائتة فيما يخص هذا العلم، فألّف لنا كتابا سجّل فيه آراءه وآراء أستاذه **الخليل**[5]، على أنّ سيبويه استفاد من علماء عصره الآخرين من أمثال يونس بن حبيب ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وأبي زيد الأنصاري[6].

---

[1] – يُنظر: إبراهيم عبد الله رفيدة، "النحو وكتب التفسير"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط3، 1990، 2/ 906.

[2] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 320.

[3] – إبراهيم عبد الله رفيدة، "النحو وكتب التفسير"، 907/2، وينظر: مأمون بن محي الدين الجنان، أعلام الفقهاء و المحدّثين" أبو حيّان الأندلسي منهجه التفسيري"، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1414هـ/1993،ص78 .

[4] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 234.

[5] – يُنظر: محمد الطنطاوي، "نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة"، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، دت ،ص: 43 – 44.

[6] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،2006، ص: 19.

ولعظمة هذا الكتاب وأهميته انكبّ العلماء الذين جاؤوا بعد سيبويه عليه بالدراسة والشرح والتعليق، ولكن بعضا من هؤلاء العلماء أوغلوا في تعقيد النحو العربي وأمسك زمام أمر هذا العلم أناس

صعب عليهم أن يضيفوا شيئا جديدا إلى قواعده ، فأصبح علم النحو صعبا على الكثيرين؛ لذلك كان لا بد من التيسير والتقريب لأذهان المتعلمين، وقد اتخذ هذا التيسير عدّة أشكال وصور أهمها:[1]

2- 4- 3-1-1: وضع المتون (تأليف الكتب النحوية المختصرة): لقد أكثر نحاة الأندلس وبخاصة نحاة القرن السابع الهجري[2] من وضع المتون النحوية المتنوّعة: المنثور منها والمنظوم؛ التي جمعت قواعد النحو العربي. وعلى ما يبدو فإن ما دفع هؤلاء النحاة إلى هذا الاتجاه فضلا عن محاولتهم تيسير النحو العربي هو خوفهم على أصول اللغة العربية من الضياع[3].

وعلماء النحو في المشرق والمغرب، بخاصة في الأندلس اتّبعوا طرقا عدة من أجل تقديم النحو العربي بقالب جديد مخفف يصلح لمواكبة الحياة، وبخاصة الأندلسية المترفة، وكانت أوّل تلك الطرق وضع الخطط والمناهج الميسرة، وتصنيف الكتب العلمية المختصرة؛ التي تسهّل على القارئ والمتعلم الوصول إلى هدفه بيسر وسهولة، دون

الحاجة إلى المرور بتعقيدات النحو التي لا حاجة للطالب منها[4]، ومن هذه المؤلفات :

- الـــمقدمة الجزولية: وهي من تأليف أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري النحوي (ت607 هـــ)1 ، وقد ألّفها ليسهل على الطلاب الإلمام بالقواعد النحوية، وعرفت بـــ: "قانون النحو"[2].

---

[1] - فادي صقر أحمد عصيدة، " جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي "، ص: 20.

[2] - ركزت على القرن السابع؛ لأنه في هذا القرن عرف المذهب النحوي الأندلسي تطورا كبيرا واكتملت شخصيته وظهرت سماته.

[3] - يقول ابن منظور(ت735هـــ) : "فلم أقصد سوى حفظ هذه اللغة النبوية وحفظ فضلها؛ إذ عليها مدار أحكام العزيز والسنة النبوية، ولأن العالم بغوا مطه ا يعلم ما توافق فيه النية اللسان ويخالف فيه اللسان النية، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا"."لسان العرب" (1/ 08).

[4] - يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 36.

– **الذرة الألفية في علم العربية:** ، من نظم العلامة زين الدين أبو زكريا يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الجزائري النحوي المعروف بابن معط(ت 628 هـــ) [3]، وتعرف بألفية ابن معطي [4]، وقد حظيت هذه لمنظومة باهتمام كبير خال القرنين: السابع والثامن الهجريين؛ إذ تناولها نحاة كثيرون بالدراسة والشرح[5].

– **غاية الإحسان في علم اللسان:** وهي للعلامة بن حيان الأندلسي، أثير الدين أبي حيان محمود بن يوسف بن علي الجياني النفزي (ت 745 هـــ)[6]، وقد ضم هذا الكتاب أبواب النحو والصرف جميعها، مع أنّ حديثه عن تلك الأبواب كان موجزا كل الإيجاز [7]، وقد لفتت هذه المقدّمة أنظار النحاة المعاصرين، فألّفوا كتبا بنفس الاسم وقاموا

بنظم المقدمة كما أن مؤلفها قد قام بشرحها أيضا[8].

2 – 4 – 3 – 1 – 2: اهتمامهم بكتب النحو المشرقية:

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعها نحاة الأندلس شرحهم للكتب النحوية المشرقية المليئة بالتعقيد والتعليل والتأويل، وقد جاء هذا الشرح على قسمين اثنين: [9]

– **شرح الكتب الـــمشرقية:** ويعدّ هذا النوع من الشروحات الأشهر والأكثر تداولا بين العلماء في الأندلس، وهو الذي ساعد على تطوير النحو العربي وانتشاره بهذه البلاد، وتسهيله وتيسيره؛ وذلك لأنه لامس أشهر كتب النحو التي ألّفت مثل كتاب سيبويه، وكتاب الجمل، وغيرهما.

---

[1] – ينظر: الزركلي، الأعلام، /104/5، وينظر: القفطي،"انباه الرواة على أنباه النحاة"، 378/2، وينظر: الفيروز أبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة،ص:136،

[2] – الزركلي، الأعلام/104/5، ، وينظر: القفطي،"اِنباه الرواة على أنباه النحاة"،379/2(الهامش) .

[3] – السيوطي، "بغية الوعاة غي طبقات اللغويين و النحاة" ، 239/2.

[4] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب النحوي الأندلسي"، ص: 216.

[5] – عبد القادر رحيم الهيتي " المصدر نفسه "، ص: 213.

[6] – عبد القادر رحيم الهيتي " المصدر نفسه "، ص:215.

[7] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب النحوي الأندلسي"، ص: 217.

[8] – عبد القادر رحيم الهيتي، " المصدر نفسه "، ص: 217.

[9] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 78.

– **شرح الكتب الأندلسية المعاصرة في بلادهم:** هذا النوع من الشروح وُجد في الأندلس، ولكنّه كان أقل انتشارا من سابقه من الشروحات، ونجد من بين العلماء الذين اهتموا به: أبو علي الشلوبين؛ الذي شرح الجزولية بشرحين، وشرح الشربشي للذرّة الألفية.

ومن بين الكتب المشرقية التي دخلت بلاد الأندلس وحظيت بكثير من العناية والاهتمام والشرح والتفصيل، وكلّ ذلك من أجل تسهيل حفظها وفهمها وإدراك معانيها، أو حتى تصويب أخطائها أو توضيح شواهدها[1]: **كتاب سيبويه**، وكتاب **الجمل** للزجاجي وكتاب **الإيضاح** لأبي علي الفارسي، و لم يمنعهم ذلك الاهتمام بهذه الكتب من الرد على بعض هؤلاء النحاة والتعقيب على بعض آرائهم، وترجيح آراء بعضهم على بعض[2]، و لم يكن شرح علماء الأندلس لهذه الكتب المشرقية بدافع التسلية أو إضاعة الوقت ، بل كان هذا الشرح و ذلك التوضيح ذا قيمة عظيمة، فهم رأوا أنّ هذه الكتب فيها من الصعوبة والتعقيد ما يكفي لتعسير فهمها على ناشئة الأندلس وطلابهم؛ لأنّهم حديثو العهد بهذا العلم؛ لذلك وقفوا عاجزين أمام لغة هذه الكتب النحوية القديمة المعقّدة وطريقتها الملتوية، مع أنّ هذه المتون لا أحد يستطيع إنكار فضلها وعظمة شأنها في علم النحو، فهي مناسبة لأهل البصرة والكوفة؛ لأنهم كانوا قريبين من العلماء الذين وضعوها؛ فيرجعون إليهم كلّما استصعب عليهم أي أمر فيسألونهم ويناقشونهم في مواضيع هذه المتون، ولكن لما انتقلت هذه اللغة إلى الأندلس ظهرت صعوبتها؛ لذلك كان لا بد لعلماء هذه البلاد أن يشمّروا عن سواعدهم ليُزيلوا عنها غبار التعقيد[3].

ومن أشهر الكتب النحوية المشرقية التي انكب عليها الأندلسيون:

– **شرح كتاب سيبويه** : انكبّ عدد كبير منن النحاة على دراسته، فمنهم من قام بشرحه، ومنهم من قام باختصاره، و لم يكن هذا الجهد المبذول من طرق العلماء في سبيل فهم الكتاب أو تيسيره لمريديه مقصورا على جهة دون أخرى، بل نجد أنّ العلماء من مختلف الأمصار:مشارقة ومصريون ومغاربة وأندلسيون قد اهتموا به[4]، ومن أهم علماء الأندلس الذين اهتموا بشرح كتاب سيبويه:

---

[1] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "المصدر نفسه "، ص: 78 ــ 79 .

[2] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي "، ص: 79 .

[3] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 79 ــ 80 .

[4] – ينظر: سيبويه ،"الكتاب"، 1/ 23، والصفحات: 24 ــ 25 ــ26 ــ27 ــ28 ــ 29 .

– **الأعلم الشنتمري**: هو يوسف بن سليمان (ت 476 هـــ)، له على كتاب سيبويه شرح الشواهد، وله أيضا النكت في كتاب سيبويه، وهما مطبوعان ومتداولان[1].

– **أبو القاسم الصفار** (ت 630 هـــ)، ذكر شرحه للكتاب عدد من العلماء[2]، من بينهم السيوطي في قوله: "شرح كتاب سيبويه شرحا حسنا، يُقال عنه أنه من أحسن ما وضع عليه"[3].

– **أبو علي الشلوبين**: أبو علي عمر بن محمد الاشبيلي المعروف بالشلوبين الكبير (ت 645 هـــ) ذكر شرحه للكتاب القفطي بقوله: "قيل إنه صنف شرحا لكتاب سيبويه"[4]، وأكّد السيوطي أيضا أنّ للشلوبين تعليقا على كتاب سيبويه[5].

و قام بشرح الكتاب علماء أندلسيون آخرون ، منهم: الشلوبين الصغير (ت 660هـــ) وابن عصفور(ت 669 هـــ)، وابن الضائع(ت 680 هـــ)، وأبو حيان(ت 745 هـــ) وابن خروف (ت 609 هـــ)، وربما هناك شروحات أخرى لعلماء آخرين قد غابت عن الباحثين فلم يذكروها، وهذه الشروحات الكثيرة تبين لنا مدى اهتمام نحاة الأندلس بكتاب سيبويه[6].

– **شرح كتاب الجمل للزجاجي** : لقد اهتم نحاة الأندلس بكتاب الجمل للزجاجي شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من النحاة، فقد قاموا بشرحه والتعليق عليه، وفي هذا دليل على أنه كان من الكتب التي انتفع بها طلاب هذه البلاد، ومن بين العلماء الذين قاموا بشرح هذا الكتاب:

– **ابن الدقاق** (ت 605 هـــ): هو علي بن قاسم المعروف بالدقاق، وقد أشار السيوطي إلى شرحه لكتاب الجمل[7].

– **ابن معط النحوي** (ت 628 هـــ): أشار السيوطي إلى شرحه.[8]

– **الأبدي** (ت 680 هـــ)، هو علي بن محمد بن عبد الرحمن الخشني المعروف بالأبدي وقد أشار إلى شرحه له الفيروزآبادي[1].

---

[1] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"ص: 81.

[2] – فادي صقر أحمد عصيدة، " المصدر نفسه "، ص: 81.

[3] – الفيروزآبادي، "البغلة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 142 ــ 143 .

[4] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 233.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 2/ 235.

[6] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص:82- 83.

[7] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 201/2.

[8] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 239.

– **ابن أبي الربيع**(ت 688 هـــ): قال عنه السيوطي إنه شرح الجمل في عشرة مجلدات.

– **اللبلي** (ت 691 هـــ)، وهو أبو العباس أحمد بن يوسف اللبلي، وأشار السيوطي إلى شرحه لكتاب الجمل[2].

– **الـــمالقي**: هو أحمد بن عبد النور بن رشيد المالقي أبو جعفر النحوي، له شرح على كتاب الجمل للزجاجي في النحو[3].

و بالإضافة إلى من ذكرنا ، يوجد نحاة أندلسيون آخرون قاموا بشرح هذا الكتاب، أمثال: القيذاري (ت 630 هـــ)، والأعلم (ت 637 هـــ)، والخفاف (ت 657هـــ) وابن عصفور (ت 669 هـــ)، وابن الناظر (ت 679 هـــ)[4].

– **الإيضاح لأبي علي الفارسي** : يُعدّ كتاب الإيضاح للفارسي من بين الكتب التي نالت إعجاب واهتمام نحاة الأندلس، وخير دليل على ذلك كثرة الشروحات والتعليقات التي وضعت عليه، ومن بين النحاة الأندلسيين الذين اهتموا بهذا الكتاب

– **الزهري** (ت 617 هـــ): وهو محمد بن أحمد بن سليمان الزهري، أشار المقرّي إلى شرحه لكتاب الإيضاح ، كما أشار إليه السيوطي[5].

– **ابن معزوز القيسي** (ت 625 هـــ): وهو أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي، وقد أشار إلى شرحه لكتاب الإيضاح كل من: ابن الأبار والسيوطي، وغيرهما[6].

– **ابن هشام الخضراوي** (ت 646 هـــ): أثبت المؤرخون أن ابن هشام الخضراوي كان من المهتمين بكتاب الإيضاح للفارسي، وقد ألّف في ذلك كتابين هما: "الإفصاح في فوائد الإيضاح"، و"الاقتراح في تلخيص الإيضاح"[7].

– **ابن الحاج** (ت 651 هـــ) : أشار إلى شرحه لكتاب الإيضاح كل من أصحاب

---

[1] – الفيروزآبادي، " البلغة في تاريخ أئمة اللغة " ، ص: 130.

[2] – "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 331.

[3] – ينظر: "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 43.

[4] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب النحوي الأندلسي"، ص: 227 – 228.

[5] – "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، 1/ 413، و السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 28.

[6] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة" ، 2/ 353، والزركلي ،"الأعلام" 9/ 334.

[7] – "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 244/2.

كشف الظنون والبلغة والبغية[1].

– **أبو بكر الخفاف** (ت 657 هـــ): وقد أشار السيوطي إلى شرحه لكتاب الإيضاح[2].

– **ابن الضائع** (ت 680 هـــ): أشار إلى شرحه لكتاب الإيضاح السيوطي بقوله: "أملى علي إيضاح الفارسي، وردّ اعتراضات ابن الطراوة علي الفارسي"[3].

– **ابن أبي الربيع** (ت 688 هـــ): أشار السيوطي لشرح ابن أبي الربيع لكتاب الإيضاح . وشرح ابن الربيع هذا هو الوحيد من شروح الإيضاح السابقة الموجود منه جزء في دار الكتب المصرية، أما بقية الشروح فلم يبق منها إلا الاسم فقط[4].

إذاً كانت تلك بعض مجهودات علماء الأندلس في شرح الكتب النحوية المشرقية المختلفة؛ التي طبع شرحها بسمة واضحة ومميزة لعلماء الأندلس وقتئذ؛ وهي سمة التسهيل والتيسير والميل إلى الأسلوب التعليمي، فهم لم يؤلّفوا أو يشرحوا شيئا إلا وكان التسهيل والتيسير السمة الغالبة على مؤلفاتهم[5].

2 – 4 – 3 –2: نفورهم من التعليل:

لقد استفادت المدرسة النحوية الأندلسية من المدارس النحوية المشرقية؛ بحيث أن النحو قد وصل إليها ناضجا كما حدث في بغداد[6]، وبحلول القرن السادس أو قبله بقليل استطاعت هذه المدرسة المدرسة بفضل اجتهادات نحاتها واستنتاجاتهم وجهودهم التي تميزوا بها أن تستقل عن المشرق ونحوه، فأظهروا شخصية للنحو الأندلسي لا تقل عن شخصيتة في المشرق[7].

---

[1] ـــ الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"،ص: 46، و السيوطي،" بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"،296/1.

[2] – السيوطي ، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 12/ 473.

[3] – السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 2/ 217.

[4] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 125.

[5] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 108.

[6] – فتحي عبد الفتاح الدجني، "ظاهرة الشذوذ في النحو العربي"، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1974، ص: 391.

[7] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 36.

ومن مميزات المدرسة الأندلسية النحوية المستقلة: نفور أعلامها من كثرة التعليل، والابتعاد عن فلسفة النحو وتعقيده، واتجاههم إلى تيسيره وتقريبه من دارسيه ومتلقيه، وتذليل الصعاب أمامهم بهذا الخصوص[1]، وذلك على مستوى الأدلة والتعليلات الكثيرة لتبسيط مفاهيمه لطالبيه في أسلوب يمكّنهم من فهمه وإدراكه والتفاعل معه، فعلى مستوى الدلالة والتعليل نلاحظ توجّههم إلى رفض التعليلات الكثيرة والمعقّدة، بل رفض عملية العامل التي تعدّ ركنا أساسا في علم النحو. فالأندلسيون نفروا من التعليل وثاروا ضده حتى أن ثورتهم تلك أُعتبرت من أهم مميزات اتجاههم في الدرس اللغوي النحوي في بعض مراحله، خاصة في القرن السابع والثامن وأواخر القرن السادس، وقد ارتبطت هذه الثورة بابن مضاء القرطبي (ت 592 هـــ)[2] صاحب كتاب "الرد على النحاة"؛ الذي نال شهرة كبيرة لما فيه من ثورة عارمة أشعلها عندما طالب في هذا الكتاب بإلغاء نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث، وإبطال القياس وترك المسائل النظرية، وإسقاط كل ما لا يفيد في النطق[3].

ولقد اعتبر بعض الباحثين صنع ابن مضاء خطوة هامة في تطوير النحو العربي وتحريره من التعليل والتأويل[4]، لما له من دور كبير في عمليّة تيسير النحو وتقريبه من مريديه ومستعمليه[5]، وقد قام ابن مضاء في كتابه هذا بهجوم أراد به أن يلغي نظرية العامل إلغاءً ويهدمها هدمًا، وهي التي تعدّ الأساس والركن الركين الذي بنى عليه النحاة القاعدة النحوية[6].

ولعلّ الغاية التي كان ابن مضاء يريد الوصول إليها عندما دعا إلى إلغاء نظرية العامل والأقيسة هو التنويه بالحركة الإعرابية وما لها من دور وفضل في توجيه المعنى، وكلّ ما عدا ذلك فحَشْوٌ يمكن للقارئ والمتكلم أن يستغني عنه؛ لأن العلامة الإعرابية من عمل المتكلّم، وليست أثرا من آثار العوامل [7]؛ العوامل[7]؛ لذلك نجد ابن مضاء يقول في مفتتح الفصل الأول من كتابه: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك: ادعاؤهم أنّ

---

[1] – مصطفاوي عمار، "الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين"، ص: 58.

[2] ـــ مصطفاوي عمار، " الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين "، ص: 53.

[3] – يُنظر: ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3،(دت)،ص8 ـــ 9 .

[4] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان ، ط2،1428/ 2007، 3/ 73.

[5] – يُنظر: مصطفاوي عمار، "الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين"، ص: 54.

[6] – يُنظر: بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الدكتراة، جامعة وهران، 1982، ص: 125.

[7] – ابن مضاء، "الرد على النحاة"، ص: 76– 77.

النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأنّ الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي[1]، وعبّروا عن ذلك بعبارات تُوهم في قولنا (ضربَ زيدٌ عمراً) أنّ الرفع الذي في، زيد والنصب الذي في عمرو إنما أحدثه ضرب، ألا ترى أن سيبويه قال في صدر كتابه[2]: وإنما ذكرت ثمانية مجارٍ[3]، لا فرق بين بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه [4]، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك [5] فيه؟" فظاهر هذا أنّ العمل أحدث الإعراب، وذلك بيّن الفساد[6].

إذا فابن مضاء القرطبي سعى إلى بيان الأسباب التي عقدت النّحو وجرت على إثقال كاهله، يحدوه في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا لا يتردد في انتقاد النحاة؛ لأنهم التزموا في صناعتهم – على حد تعبيره – "ما يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي في ما أرادوه منها، فتوعّرت مسالكها ووهنت مبانيها، وانحطت عن الإقناع حجَجُها".[7]

و لم ير ابن مضاء في مساعيهم محاولة في النفاذ إلى أسرار ما يسمى اليوم بنظام اللغة، ولا حرصا على الفوز بمنهج تفسيريّ متكامل، ولكنه عدّ كل ما ليس قواعد بسيطة تكلّفا في علم هو – حسب عبارته – "من أوضح العلوم بُرهانا، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزانا، و لم يشتمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون"[8].

---

[1] – يُشير ابن مضاء إلى رأي البصريين الذين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل، والخبر مرفوعا بالمبتدأ، في حين يجعلون المبتدأ مرفوعا بالابتداء، يُنظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 56/1 ــ 82.

2 ــ ينظر: سيبويه، " الكتاب "، 1/ 41 .

[3] – يريد سيبويه بالمجاري حركات أواخر الكلم، وقد اعترض عليه بأن الحركات تجري والمجاري يُجرى فيهن.

[4] – يقصد سيبويه بالحركات الأربع التي يُحدثها العامل: النصب والرفع والجر والجزم.

[5] – يقصد سيبويه هنا الحركات الأربع الأخرى الخاصة بالبناء، وهي: الفتح والكسر والفم والوقف أو السكون.

[6] – ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، ص: 77.

[7] – يُنظر: عبد القادر المهيري، "نظرات في التراث اللغوي العربي"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 138.

[8] – عبد القادر المهيري، " المرجع نفسه "، ص: 138.

ويرى عبد العال سالم مكرم أنّ في دعوة ابن مضاء طرافة و تجديد، أمّا طرافتها فهي أنها دعوة لم يألفها النحاة السابقون أو المعاصرون، وأما تجديدها فإنها أخذت على عاتقها هدم النحو القديم وبناء نحو جديد يقوم على أساسٍ جديد[1].

2 – 4 – 3 –2 – 1: إلغاء نظرية العلل الثواني والثوالث:

الحديث عن العلّة موصول الصلات بالظروف التي نشأ فيها النحو العربي وطبيعة اللغة العربية خصوصا، مع إحساس الدارسين بها، فقد ولّدت هذه الأمور فكرا فلسفيا التصق بالنحو حتى دُعي قسيما له[2]، وأصبح حتما مقضيّا على دارس اللغة أن يحيط به خبَرا كما يحيط بقواعد النحو وأحكامه، فكان لهذا أثره الخطير في تنكب الباحثين في اللغة جادة الصواب، فبدل أن ينظروا المادة التي جمعها رواة اللغة ويقوّموها حسب ما هي عليه، وزّعوا جهودهم – إلى ذلك – نواحٍ ثلاث: ما كان ينبغي أن يكون في اللغة ووقع فعلا، وما كان ينبغي أن يكون و لم يكن، وما كان ينبغي ألا يكون وكان، ومضوا يُوَجّهون المجهول أو المعدوم والموجود، ويلتمسون لكل ما قيل وما لم يُقَل وجها من الحكمة، فانقسمت بذلك تعليلاتهم أقساما ثلاثة، ثم انقسمت العلة ذاتها أقساما أخرى [3]، ولما تكامل هيكلها أفردت بالتصنيف والتأليف، وأصبح لها من القداسة حظ وافر ومازالت تفرض وجودها على دارسي النحو وعلى المؤمنين بقلة جدواها[4].

– **بدايات العلة النحوية:** تذكر بعض المصادر التراثية أنّ الحديث في بدايات العلة النحوية يعود إلى عصر النحو الأول؛ حيث أنّ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي هو أول من نهج العلل وشرحها[5]، وقصة عبد الله بن أبي إسحاق مشهورة مع الفرزدق حين هجاه لأنه اعترض عليه وطلب منه تعليلا لما يقول[6].

---

[1] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 170 – 180.

[2] – يُنظر: ابن جني، "الخصائص"، 1/ 95.

[3] – محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1405هـ، 1985م،ص281.

[4] – محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه "، ص: 281.

[5] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 31، و الأنباري، "نزهة الألباء"، ص: 27.

[6] – القصة مذكورة في "نزهة الألباء" للأنباري، ص: 20.

وقد اتبع نهج ابن أبي إسحاق عدد من تلامذته من أمثال: أبي عمرو بن العلاء؛ الذي كان يطلب التعليل حين يسمع كلاما يشكل عليه فهمه [1]، وكذلك عيسى بن عمر؛ الذي كان يضع تعليلا لما سمعه و لم يستطع أن يدركه جيدا.

وقد كانت تلك التعليلات في بداية الأمر بسيطة تدور حول العامل والمعنى المقصود من القول المعلَّل، حتى جاء الخليل ورأى أن كلام العرب لم يكن ليوضع دون علل أو تعليل[2]، فاستنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد وما لم يسبق إلى مثله سابق[3]، فأطلق الخليل العنان لعقله ليفكّر في العلة القائمة خلف هذا القول أو ذلك المعنى[4]، كما فتح الباب على مصراعيه للنظر في اللغة وتوجيهها، وذلك عندما قال: "فإن سنح لغيري علّة لما علّلته من النحو، هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها"[5].

وبعد أن تطورّت العلّة وأصبحت أداة ووسيلة هامّة لتعلّم النحو وفهمه، وكل ذلك بفضل الخليل، فإن تلك العلّة وجدت أنصارا لها من العلماء اهتموا بها حتى بالغوا في ذلك، منهم: سيبويه الذي ملأ كتابه تعليلا وقياسا[6].

وفي العصور المتأخرة أضحى التعليل من الموضوعات التي كثر الاختلاف حولها بين علماء النحو، ففي الوقت الذي نجد فيه نحاة المشرق [7] يُقدّسون ويبجّلون العلل، نجد نحاة المغرب والأندلس ينكرونها، وذلك راجع لتأثير المذهب الظاهري في الفقه على مذهبهم النحوي، ومن نحاة الأندلس الذين ثاروا على العلة النحوية:ابن مضاء القرطبي وأبو حيان النحوي[8].

---

[1] – ابن الأنباري، "نزهة الألباء"، ص: 29.

[2] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 112.

[3] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 47.

[4] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 112.

[5] – الزجاجي، أبو القاسم (ت 337 هـ)، "الإيضاح في علل النحو"، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت ــ لبنان، ط6، 1996، ص: 66.

[6] – فادي صقر أحمد عصيدة، ، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 113.

[7] – ومن علماء المشرق الذين عمّقوا الاتجاه التعليلي: ابن يعيش؛ الذي نجده في كتابه "شرح المفصل" يشرح للقارئ سبب انقسام الضمير إلى متصل ومنفصل: "والقياس فيها أن تكون كلّها متصلة؛ لأنها أوجز لفظا وأبلغ في التعريف، وإنما تأتي بالمنفصل لاختلاف مواقع الأسماء التي تضمر، فبعضها يكون مبتدأ، نحو: **زيدٌ قائم**، فإذا كنيت عنه قلت: **هو قائم**، أو **أنت قائم** إن كان مخاطبا؛ لأن الابتداء ليس له لفظ يتصل به الضمير؛ لذلك وجب أن يكون ضميره منفصلا. " ابن يعيش، "شرح المفصل"، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 3/ 85، و ينظر على سبيل المثال:86/3 .

[8] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص:112.

وقد شكّل الاهتمام بالعلّة النحوية مصدرا أساسيا من مصادر الصعوبة والتعقيد في النحو العربي، وهو ما لم يرق لعلماء النحو الأندلسي، أو حتى للفقهاء منهم[1]، فأعلنوا على العلل ثروة بلا هوادة، وطبعا كان من أشهر هؤلاء: ابن مضاء؛ الذي لم يكتف باستفادته من تطبيق مذهب الظاهرية على النحو العربي فيما يخص إلغاء نظرية العامل، بل هناك أشياء أخرى استقاها من هذا المذهب؛ وقد أراد أن يريح الناس عن طريقها من عبث طويل للنحاة، وعلى رأس هذه الأشياء إلغاء العلل[2]، وإلغاء طلبها في الشرع، وقد ذهب ابن مضاء يطلب ذلك في النحو، ولكنه لم يتشبّث بإلغاء العلل جملة، فإن فيها قدرا لا يمكن إلغاؤه، وهو العلل الأُوَل؛ لما لها من فائدة تعليمية[3]؛ وهو ما يتوضّح في قوله:"ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا: (قام زيد) لم رُفِعَ؟ فيُقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولِمَ رُفِعَ الفاعل:؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب"[4].

وذلك لأنّ العلل الثواني والثوالث لا تفيدنا في شيء ولا يضرنا جهلها في شيء، كذلك ولو أجبت السائل عن سؤاله (لِمَ رُفِعَ الفاعل؟) بأن تقول له للفرق بين الفاعل والمفعول، فلم يقنعه، وقال: فلم لم تعكس القضية بنصب الفاعل ورفع المفعول؟ قلنا له: لأن الفاعل قليل والمفعولات كثيرة؛ فأعطي الأثقل؛ الذي هو الرفع للفاعل، وأُعطي الأخف؛ الذي هو النصب للمفعول؛ ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون [5]، فلا يزيدنا ذلك علما بأن الفاعل مرفوع [6]، ثم يضيف ابن مضاء قائلا: وهذه العلل الثواني على ثلاثة أقسام: قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده، وهذه الأقسام موجودة في كتب النحويين، والفرق بين العلل الأُوَل والعلل الثواني والثوالث،

---

[1] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 113.

[2] – يُنظر: ابن مضاء، "الرد على النحاة"، ص: 35.

[3] – بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، ص: 71.

[4] – ابن مضاء، "الرد على النحاة"،ص: 130.

[5] – ابن جني، "الخصائص"، 1/ 95.

[6] – ابن مضاء، "الرد على النحاة" ،ص: 130 – 131.

أنّ العلل الأُول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب، والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك[1].

فابن مضاء برأيه هذا خالف النحاة القدماء الذين كانت العلل عندهم على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية، وإنما قسّموا العلل ليولوا العلة التعليمية الاهتمام الأول[2].

لقد اختلفت دعوة نحاة الأندلس إلى ترك التعليل، فنجدها عمليّة عند بعضهم، ونظريّة عند بعض آخر، فابن مضاء مثلا والزبيدي وغيرهما كانت دعوتهم عملية؛ حيث حاولوا تطبيقها قولا وفعلا، فهم قد جانبوا التعليل والعلل الفلسفية والمنطقية، وهي دعوة نظرية عند السهيلي وابن الطراوة اللذين دعيا بصراحة إلى ترك التعليل، ومع ذلك فقد أخذا به، ورغم ذلك فلا أحد يستطيع أن ينكر الدور العظيم الذي قام به علماء الأندلس لتخليص النحو العربي من بعض علله، فالدعوة النظرية قد تؤتي أكلها بشكل واضح وبيّن، حتى ولو لم يفعل بها صاحبها، فكم من سامع أوعى ممن بلغه نصحه، فنصيحة العلماء الأندلسيين بترك التعليل لا يُمكن إغفالها أو الانتقاص من أثرها، وليس أدلّ على ذلك من هذا الصدى الذي أحدثته هذه الدعوة عند العلماء المحدثين فظهر من نادى بتطبيق رأي ابن مضاء [3] وإعادة تشكيل النحو من جديد[4].

2 – 4 – 3 –3 : الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف: تميّزت المدرسة النحوية الأندلسية فيما يخصّ قضية الاستشهاد اللغوي باعتماد نحاتها الحديث النبوي الشريف أصلا من أصول التقعيد النحوي.وبما أن هذه القضيّة هي لبّ بحثي ارتأيت أن أرجئ الحديث عنها إلى الفصل الموالي؛ حتى تتسنّى لي الفرصة في التفصيل فيها .

يتبين مما تقدّم أنّ النحو في الأندلس بدأ كوفي النزعة، وذلك لأسبقية دخول كتاب الكسائي الذي تعرّف عليه الأندلسيون قبل أن يعرفوا كتاب سيبويه، ولكنّ بالرغم من هذا ، فإنّ كتاب سيبويه كان له أثر عظيم في نفوس نحاة الأندلس؛ حيث انكبّوا عليه بالدراسة والشروح، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة في هذا الكتاب إلا وتوقّفوا عندها، كما نهل الأندلسيون من معين النحو البغدادي، والفضل في

---

[1] – ابن مضاء، "الرد على النحاة"، ص: 131.

[2] – بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، ص: 72.

[3] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 142.

[4] – ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، ص: 46.

هذا يعود إلى أبي علي القالي الذي اُستدعي إلى الأندلس فتخرّج على يديه كثير من أبنائها . وفي الفصل الموالي سأعرض مصادر الاستشهاد اللغوي المعتمدة عند نحاة الأندلس .